

قلوب واهمة

فريد شوقي

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : قلوب واهنة

المؤلف : فريد شوقي

تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٧ / ٢٢٦١١

الترقيم الدولي : 6 - 520 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء إلى..

أبي العزيز الذي أورتني حنانه ،
وأمي الحبيبة التي أورتني عزمها وصبرها.
أقدم كتابي هذا قرباناً تحته أقدم لكم لعله يكون شفيعي.

تلميح

الحياة مليئة بالمعاناة، وكل منا يرى معاناته في شيء ربما لا يرى الآخرون فيه معاناة، لهذا بعضنا ينظر إلى ما حوله من البشر ويقارن بين مأساته ومأساتهم، فيظن أنه أكثر تعاسة وألماً وأقل حظاً من الآخرين، وربما يظن العكس! نعم..ربما ترى غيرك أقل ألماً منك، ولكن هذا لا يعني أنه لا يتألم!

وبين دفتي هذا الكتاب مجموعة قصصية رسمتُ فيها معاناة بعض البشر، سواء كانت هذه المعاناة مع الفقر أو الجوع أو الحب أو الندم أو الفراق أو حتى مع البشر أنفسهم..كلها معاناة، وإن كانت هذه الأحداث جميعها لم تحدث إلا داخل خيالي، ففكرتها الأساسية مأخوذة من جوف الحياة، وكل ما حدث في خيالي ربما حدث في الواقع أو ربما يحدث أو سيحدث، ولا تحتاج إلا أن تلقي نظرة واحدة على الحياة لتعلم كيف يحدث وكيف سينتهي الأمر!

وسبب كتابتي لهذه المقدمة هو أن أوضح لك أنه إن كنت سترى معاناة بطل/ة إحدى القصص (بسيطة)، ولا تستحق أن توصف بالمعاناة فأعلم أنك صائب ومخطئ نسبياً، لأنك تقيسها

بمعاناتك، واعلم أن كل ما يحدث ضد إرادة الإنسان معاناة له،
وأظن أن الذي أصيب بالأوجاع من فراق حبيبته يشعر بنفس
أوجاع موت أقربائه أو فقدان عمله أو عدم تحقيق آماله!
ولأن لكل إنسان أفكاره ومبادئه الخاصة وكذلك أبطال قصصي..

فلا تلم أحدهم - أي أبطال قصصي - على أن أفكاره ومبادئه
يخالفان أفكارك ومبادئك.. لأنني لا ألومه على ذلك!

وتذكر أن القاص ليس ما يكتبه!

ولقد آثرتُ في كتابة هذه المجموعة أن أتجنب خلق الأسماء،
لأنني أريد منك، قارئتي العزيزة؛ وإن حدثت الصدفة ووجدتُ أن
إحدى القصص تشابه قصتك في الحقيقة، أن تعيش أحداث هذه
القصة باسمك أو بالأسماء التي تختارها!

وفي النهاية أعتذر لقارئتي العزيزة أنني استخدمتُ كلمات كثيرة
تُشير إلى قارئتي أنه ذكر ولا يُخفى عليكِ حزني من ذلك، وكنتُ
أتمنى لو أن اللغة العربية لا تفرق بين الذكر والأنثى في الحروف
كما تفرق الأمة العربية بينهم في الحياة الاجتماعية، فلا تسمحني
للحروف بأن تخدعكِ!

أتمنى أن تستمتع/ي بوقتك.. وأن تنتهي من الصفحة الأخيرة
وقد تركتُ بداخلك أثر!

مهلاً!

عند ما يكون الفراق دواءً،
أدرك أنني التفتُّ من الألم!

الزهرة الأولى

جلسنا معاً فوق صخر على ضفاف النهر، نراقب حركة المياه الهادئة، ونأمل ما حولنا من صخور ونباتات، بينما أطوق خصرها بذراعي ورأسها ساكن فوق كتفي..

صامتان، هادئان، متحابان، لا نشعر إلا بنبض صدرينا، ولا نصغي إلا لشهيق وزفير قلبينا.

انتبهتُ لزورق يشق منتصف النهر فأخذتُ أتأمله وأراقب أفعال الصياد القائم فوقه، وهو يلقي بشبكه فوق المياه، فتهوي وكأنها تحتضنها ومن ثم يقلقل المركب بقدميه، وأراقب طفله الصغيرة التي تعبت بيديها في سلة الأسماك.

قبل أن يُخرجني من شرودي صوتها الخافت.

— ألا تزال حزيناً، مُستاءً مني؟

أجبتها:

— قطعاً لست كذلك.

وبينما أخفض رأسي قليلاً أتطلع إلى شفافية المياه أسفلنا،

همست:

— أتعلم، إنني أحبك حباً مختلفاً، لا يدري البشر عنه شيئاً!
مازحتها قائلاً:

— وهل يدري من هم دون البشر عن هذا الحب؟
أشرفتُ قسماتها، وارتسمتُ ابتسامة خفيفة على شفثيها، وهي
تأكد:

— نعم، العصافير تدري ذلك، فعندما تغرد، تنشد لعشيقها
القصائد!

اعتلت وجهي ابتسامة ساخرة، وأنا أسألها:

— وهل أنتِ، عصفور يغرد؟

— نعم، بالتأكيد أنا كذلك.

ومن ثم أصدرتُ أصواتاً تماثل تغريد العصافير، فعلا صوت
ضحكاتنا قبل أن أخبرها، بأنني لم أدرك حرفاً واحداً من قصيدتها.
فقالتي في تذمر..

— بل أدركت كل حرفاً فيها.

— لا لم أدرك.. فأنا من البشر.

رجوتها أن تشرح لي قصيدتها:

— كنتُ أقول لك، «أحبك.. أحبك، حد الجنون».

ابتسمتُ لها وأنا أقول:

— حسناً أوعدك من اليوم أن أتعلم لغة العصافير.

وصمتُ برهةً قبل أن أضيف مماًزحاً:

— يمكنني أن أشتري كتاب (تعلم لغة العصافير، بدون معلم في أربعة أيام).

قلتُها، فحدقتُ فيَّ بحنقٍ..برهةً، ومن ثم انتفضتُ من جانبي مُهتاجةً وأخذتُ تهوي فوقِي بضرباتٍ قوية، وبينما أتفادى ضرباتها وأنا أقهقه بصوت عالٍ، احتل توازني وكدتُ أن أهوي في المياه، إلا أنها اجتذبتني سريعاً وبقوة إلى الخلف..تضمني بين ذراعيها وهي خائفة، فرعة، بينما أستشعر جسدها يرتعد، ووجيف قلبها يعتذر!

نسيْتُ، أو تناسيتُ ما حدث، وسكنتُ بين ذراعيها ملياً.. غارقاً، ذائباً، مُسدل الجفنين، حتى توجسنا صوت أحد المارة، وهو يقهقه، ويغمغم، فانتفضنا سريعاً مُبتعدين، وامتنع وجهها خجلاً، فازدادتُ وجنتيها حُمرة.

اعتدلتُ مرةً أخرى في مجلسي، واعتدلتُ هي الأخرى، وانشغلتُ بالتطلع إلي شئ ما!، في حين أخذتُ أجوب بعيني بحثاً عن الصياد، فإذا به قد ابتعد كثيراً، فتأملتُ صورته وهي تتلاشى شيئاً فشيئاً.

هُنيهةً، وعدتُ أتطلع إليها، كان احمرار وجنتيها قد زال. فسألتها عن حالها، فأجابتنِي:

— ما بالك بحالي، مهما كان حالي فلا أدعه يُشغلني وأنا معك.

علقتُ على كلماتها بابتسامة صادقة، ودمعة حزن وأسى هوت مني عفويًا عندما التفتُ برأسي إلى الجانب الآخر، أفتعل انشغال عيني في شيء ما.

وعقلي يتساءل:

ما بالي لا أقدر على أخبارها بما اتفق عليه والدي؟! ربما لأنني لا أريد أن أفطر قلبها حزنًا، ولا أريدُ أن أضنيه وأثقله وقد شغفه حبي..

ولا أريدُ أن أفصح لها عما يدور بداخلي، من خوف اجتاحني، أو شك لازمني.

وبعد تنهيدة طويلة خرجتُ دون إرادتي، نازعني من شرودي صوتها وهي تسأل:

— ما بك؟

— لا شيء.

— بل بك شيء، ماذا تخبني عني؟

صمتُ هنيئة في شيء من الارتباك والتردد، ومن ثم تجاسرتُ وأفصحتُ لها عن نية والدي في الانتقال إلى منزل جديد، خارج حدود مدينتها.

وجمتُ وهي تسألني:

— ماذا تقصد؟

اكتفيتُ بصمتي، فقد بدا أنها لن تحتل أي إضافة مني،
ولكنها سألتني:

— ألا تحبني؟.. إن كنتَ تحبني، ستأتي من أجلي كلما سمحت
لك الفرصة، وستُبقي على حبنا، هل تريد أن تُبقي عليه
وتبقى معي؟

— بالطبع أحبك، وأريد البقاء معك.

قُلْتُها، ويعلم قلبي أنني صدقتُ في الأولى وكذبتُ في الثانية،
ومع أنني أُجبتها فقد بدا أن إجابتي لم تُرضها، وامتنع وجهها،
وخيم عليه الحزن، وسالتُ دموعها سريعاً فوق وجنتيها، وانتبهتُ
لارتعاد يديها، فقبضتُ على يديها براحة يدي، وكففتُ دموعها
وأنا أعتذر، وعينايَّ تتفادى النظر إلى عينيها الجاحظة الحزينة
وهي تُطيل النظر إلى عينيَّ في تساؤل، ودُعر، وحيرة!

وبعد هُنيئة، زاغتُ فيها الشمسُ، أخبرتها أن علينا العودة،
فنهضتُ متأهبة.

سارتُ بجواري مُتأخرة عني بخطوة أو خطوتين، وعيناها لا
تزال تُطيل النظر إليَّ حد السكون، وبعد أن اجتزنا الطريق الذي
عليها العودة منه، أوامتُ لها.. فوقفْتُ، وبدا أنها شاردة واجمة،
لا تدرك مقصدي!

فأخبرتها بأنها قد اجتازت طريقها، فانتبهت لمقصدي،
واستدارت مُصححة طريقها ومضت تبتعد، في حين أخذت أراقبها
وهي تعبر الطريق بخطوات مترددة دون اكتراث بأصوات العربات
الصاخب أو سرعتها.

وخيل إليّ أنها تُريد أن تستدير وتنظر إليّ، ولكنها أبت أن تفعل!
ظل الشعور بالذنب والندم يُناكفاني طيلة الأسابيع التي تلت
ذلك اليوم، وما زادني حزناً أنني لم أخبرها عندما أّزف الرحيل.
رحلتُ دون حتى أن أودعها، فقط اكتفيتُ بمكالمة هاتفية
قصيرة مضطربة بعد عدة أيام من رحيلي، وواسيتها بوعدني:

— إذا سنحت لي الفرصة، سآتي لألقاك قريباً!

وعلقتُ قبل أن تُنهي المكالمة وصوتها يفتعل عدم الاكتراث:

— حسناً، سأنتظرك، إلى اللقاء.

تسكعنا معاً في شوارع المدينة، نتحدث ونتساءل عن حال
بعضنا.

أخذتُ تُجيبني بأخبار جيدة عن حالها وعن سعادتها، مع
أنني كنتُ أدري كل شيء عنها من أصدقائنا، فقد قالتُ لي
إحداهنّ إن حالها قد بات أكثر سوءاً وباتت تغيب في دوامات
من الشرود الطويلة، وران على وجهها كآبة بدت دائمة، وقد
أخبرتها صديقتها تلك أنها باتت أكثر إهمالاً في ملبسها.

وكان هذا عكس ما رأته عيناى، فقد بدا فى ذلك اللىوم أنها ارتدت أفضل ملابسها.

جلسنا معاً فى أحد المقاهى، نرتشف عصير اللىمون، ونتحدث فى عدة أمور.. غير مهمة!

وكان يخيم علينا الصمت بعد كل جملة أو جملتين.

وبعد ساعتين أو أقل بقليل، أخبرتها بأنه يجب علىّ العودة، فسمحت لى.

وأمام باب المقهى مدت يديها تصافحنى، فالتقطت أناملها التى سحبتها سريعاً حتى لا أشعر بارتعادها!

لو أن أناملها مكثت قليلاً بين أصابعى، ربما كان انكشف لها ارتعاد قلبى، ولو أنها رفعت رأسها قليلاً عالياً لتتطلع إلى عينيّ لانتبهت للمعان الدموع بهما وهى تقف كالحاجز يشوه صورتها.

استدارت ورحلت دون أن تنبس بأى كلمة.

وفى طريق عودتى، تمنيت أن أجد حلاً يخفف ألمها، ويضمدها..

لم يعد بمقدورى أن أضمد جراح غيرى، وإن فعلت فمن سيضمده جراحى.

وتمنيت أن يأتى لها حب، ينسخ حزنها، ويضيء ابتسامتها، لتشرق قسماتها من جديد.

وناكفني الحزنُ والندم حتى قابلتها مرة أخرى بعد شهر،
لكنها كانت مقابلة على غرار سابقتها، وكان بينهما عدة مكالمات
سريعة مضطربة.

وبعد انصرام عدة أشهر أخرى، قابلتها، وفي هذه المرة كدتُ
أقول لها:

أحبك، إنني آسف على كل ما مضى، هل تصفحين عني؟!
ولكن ما منعني من قول ذلك، أنها بدتُ أكثر إشراقًا، وأكثر
اتزانًا، وأخبرتني بأن لديها الآن من يهتم بها!
افتعلتُ صرامتي، وعدم اكتراثي، وتمنيتُ لها السعادة من
صميم قلبي، وحقًا تمنيتُ ذلك.

في مساء ذلك اليوم بكيتُ بحرقه على فقدانها، وندمتُ أنني
لم أخبرها..

لم ابتعدتُ عنها، ولم لم تعد تروق لي مثلما كانت من قبل؟!
لعلها حينئذ كانت وجدت لي عذوًا

انقطع بعدئذ تواصلنا..حتى عبر الهاتف، وقل انشغالي بها،
وبعد فترة طويلة كنتُ قد تناسيتها فيها!

ذكرني صديقي بها وهو يخبرني بموعد خطبتها، ما
جعل كل ألم وندم وحزن يعود مرة أخرى، ومكثتُ فوق
سطح منزلي أجهش البكاء، وأندم وأنا أخبر نفسي بأنه كان
يمكنني أن أتغاضى عن كل عيب وشيمة لم ترق لي فيها.

كانت زهرة، بل كانت أجمل زهرة في بستانني، ولكن ما فائدة
الندم، لم يعد له فائدة!
بدا واضحاً أننا افترقنا، وأخذ كل منا سبيلاً مختلفاً، وليس
بمقدورنا العودة.

اعتقدتُ أن ما حدث هو نهاية القصة، ونهاية الآلام معه،
ولكن انبعثتُ الآلام مرة أخرى، عندما أخبرني صديقي بأن
زهرتي تلك.. قد ماتت..!!!
تأجج قلبي، واجتاحه حزن، وألم، وخزي، وأسى وشوق،
و...!

لن أجد كلمات تعبير، ولا أوراقا تكفي.
ومكثتُ في غرفتي متكوراً على نفسي، لا أدري أين أنا من
الوقت، ولا كم مكثتُ وكم سأمكث..
فقد توقفت الساعات، وباتتُ غرفتي معتمة!
بينما أرمق كل ذكرى بيننا وهي تنبعثُ أمام عينيّ مُجسدة
وكأنها حقيقة.

إنها هي تلك الجالسة هناك وأنا بجانبها أداعب جدائل شعرها..
وانه أنا ذلك المستلقي على ظهره ورأسه ساكن فوق إحدى
فخذيها أتطلع إليها بعينيّ مبتسماً وهي تتلمس شعري، أو تداعب
شفتاي بأناملها، أو تُهددني كالطفل.

إنني هذا الذي يلوذ بين ذراعيها من سخط ونقم الحياة.

وآه من الحياة!!

ماتتْ ومِتْ أنا بعدئذ ألف مرة، كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة
وثانية..

أموت وأبعث لتتجدد آلامي، ولا أزال أموت!

وكلما ثقل جسدي، وجثت قدمي، وران عليّ الوسن، وأويتْ
إلى فراشي؛ أشعر بذراعيها وهي تحتضنني، وقبلاؤها وهي تُختم
فوق جبيني، قبل أن أُغَطَّ في نومي.

إنني أشعر بها، أشعر أنها امتزجت بي، إنها تسكن غرفتي،
تراقبني، وتتابعني!

لهذا أكتب تلك الكلمات، بينما أدرك أن دموعي هذه التي
تهوي.. لن تغفر، ولن تشفع لي عند روحها التي تحوم حولي.
وتلك كانت قصتي مع زهرة، وأجمل زهرة، وأول زهرة هوتْ
من بستان حياتي.

كيف أواسيك؟

جلستُ بجانب صديقها على أريكة خشبية بإحدى الحدائق،
تفصح له عن سرها، وتشكو له همها وحزنها المكنونين في قلبها!
فأحاطها بذراعيه وضمها إليه، بينما ارتاحت ذقنه على رأسها
التي غاصت بصدرة، وأخذ يردد تلك الكلمات في خاطرة، في حين
كانت تظنه صامتاً:

كيف أواسيكِ وقلبي يقتسم معكِ الآلام؟!

وكيف أرضيكِ والأنين يتبدى في صوتك الحزين، ودموعك تسيل
فوق قلبي كجذوات ملتهبة تثقبه فتجعله كغربال الدقيق.

لا أخشى من خفقان قلبي،

بقدر خشيتي من رؤية الدموع تدور في عينيكِ..

لا يمكنها الخروج ولا يمكنها الولوج..

دمعتكِ يا حبيبتي ترتعد لها القلوب.

آه يا حبيبتي..

لو أدري كيف أدوي لك الجراح،
لو أدري أين يكمن الدواء!
لجلبته لك وإن كان في أعماق الجحيم.
ولو كان حبي دواءك لانتزعتُ قلبي وقدمته لك فوق طبق
الإخلاص،
ليضمّد لك الجراح.
كم أمقت هذه الحياة بسحرها وجمالها عندما أجدّها ساخطة،
ناقمة عليك.
آه يا حبيبي لو أجد لك الدواء..
لكفكفتُ به دموعك المكبوتة، لتعود ابتسامتك ترفرف حولي،
وليعود صوتك الأصيل.
صوتك الذي كان يشفي جراحي يوماً، أتوجسه اليوم حزيناً!
أما كلماتي فقانتة معك في قفص الأحزان، فلا بمقدورها أن
تحررك،
ولا يمكنها أن تواسيك.
صديقني، يعتليني الحزن لحزنك، والهّم لهّمك، وكأنّ سعادتني
وحزني ممتزجان بك!
فسعادتني تنبعث عندما تسعدين وحزني ينبعث عندما تحزنين،
وآلامي تنبعث عندما تبكي.

لكن لن أسمح لآلامك بأن تمكث بداخلك طويلاً، وتعكر صفو
عالمك الجميل.

سأذهب في رحلة إلى أرجاء العالم، لأبحث لك عن الدواء.

برهة!

برهة يا حبيبتي وسأعود لأشفيك.

وإن عدتُ فارغ اليدين..

سأسلم لك حياتي لتفعلي بها ما تريدين.

لازالت تجتاح أحلامي

كنتُ جالسًا أهدق في شاشة حاسبي، عندما أتتُ هي من خلفي وجلستُ فوق مقعد على يساري في هدوء، ابتسمتُ لوجهها البشوش، وضغطتُ الزر فانبعثت أنغام الموسيقى.

التفتُ إليها وأحطتُ عنقها بذراعي وحدقتُ قليلاً في خصلات الشعر الذهبية اللون التي كانت تحجب عينيها وهي تتطلع إليّ. خطفتُ الخصلات بين أصابعي ومررت بهم من فوق وجنتيها حتى أسكنتهما خلف أذنها.

ابتسمتُ في خجل واحمرتُ وجنتاها، أخذتُ أمر بيدي على وجنتيها حتى غاصتُ في راحة يدي.

برهة وأبعدتُ هي يدي في خجل وضغطتُ على نفس الزر فإذا بأنغام الموسيقى تتوقف.

تذمرتُ وضغطتُ الزر مرة أخرى،

فضحكتُ ضحكة مكتومة ساخرة.

ألتفتُ بجسدها فوق المقعد، ومن ثم استلقتُ على ظهرها
وأسكنتُ رأسها فوق فخذي الأيسر، وأخذتُ ترمقني بعينيها
الصغيرتين العسلية اللون.

فابتسمتُ لها ورحتُ أنفخ الهواء لأبعد الشعيرات الصغيرة عن
جبينها، ثم وضعتُ قبلاطي عليه.

وضعتُ الكثير من القبلات، حتى أسدلتُ جفنيها ورفعتُ
يديها وراحتُ تداعب شعري بأناملها.

وبغتة، وثبتتُ برأسها للأعلى قليلاً وتعلقتُ بإحدى شفتي
وراحتُ تعتصرها، فغرقْتُ في رحيق شفتيها حتى أغمضتُ عيني،
ولم أدر بشيءٍ حولي.

استفتقتُ من حلمي هذا على صوت زوجتي، تطلب مني
النهوض لتناول الإفطار!

اعتدلتُ فوق فراشي، واحتجتُ برهة حتى أستوعب أنني
كنتُ أحلم، ومكثتُ قليلاً في شرودي الذي أخرجني منه
صوت طفلي الصغيرة التي كانت تركض وتلهو خارج الغرفة.

غادرتُ الغرفة، وانضمتُ إلى المائدة مع زوجتي وطفلي، أخذنا
يتناولان الطعام، في حين أراقبهما في تأمل وشرود، وكنتُ أعبث
في الطعام بشوكتي كلما انتبهتُ زوجتي ونظرتُ لي في تعجب!

وبعد الانتهاء جلستُ أمام طفلي التي تلهو، أتتطلع إليها من
خلف دخان سيجارتي.

لقد انصرمتُ أعوم، بات لديّ فيها زوجة، وطفلة جميلة ذات
عينين زرقاء مثل والدتها..

ومع ذلك لازالتُ تجتاح أحلامي.. حبي الضائع!
حدقتُ في صورة أبي المعلقة على الحائط، وأنا أخاطبه في
نفسي..

لا أدري أكان هذا إثمي أم إثمك يا أبي!
جئتُك أخبرك عن حبي الوحيد، فسخطت عليّ بصوتك
الصاخب تنهاني عن معرفة تلك الفتاة، وأنت ستوافق على أي
فتاة أخرى أشير إليها.

لم تأبه بألم ابنك الوحيد..
رفضتَ دون أن تُصغي حتى لدفاعي عنها،
إنه إثمك يا أبي..

وإثمي أيضاً!
فقد امتثلتُ لرغبتك،
لأنني لم أعتد قط أن أقول لكّ لا..!

طفل الشارع

أخذ يتسكع في شوارع المدينة المزدحمة؛ كعادته كل يوم، وبعد وقت ليس بقليل، جلس يتشبع من رائحة شواء اللحم المنبعثة من أحد المطاعم، بينما يتطلع إلى المارة في تأمل.

تطلع لتلك السيدة وهي تربّت فوق ظهر رضيعها النائم على كتفها الأيسر، وذلك الشاب الفارع الذي يطوق عنق صديقه بذراعه؛ تطلع إليه متفحصا ملابسه النظيفة، وحذاءه الأبيض الجميل، ثم عاد يتأمل نفسه، يتأمل ملابسه الباهتة، المتسخة، المرقعة، وحذاءه المقطوع!

هنيئة وعاد يتطلع إلى المارة مرة أخرى، خاصة ذلك السيد المحترم الذي يسير بجوار زوجته، وطفلتها بينهما معلقة في كفيهما. لطالما خيل إليه أن أحد المارة سيدنو منه يوماً ويربّت على كتفه مُشققاً قبل أن يطلب منه أن يصطحبه إلى منزله، ليترعع مع أطفاله، أو حتى ليكون طفله الوحيد!

يطعمه، ويشترى له الملابس، ويُلحقه بالمدرسة ليتعلم تلك الأشياء التي كان يُصغي للأطفال وهم يتناقشونها في اهتمام.

وكان يراوده حلمًا عندما يغفو قليلاً، أنه باتَ رجلاً لديه عمل مهم وزوجة جميلة وأطفال يلعبون معه في حديقة المنزل الكبيرة. ولقد دنا منه أكثر من شخص خيل إليه وقتئذ أن أحلامه ستتحقق، لكن لا يلبث أن يرتطم في زيف خيالاته عندما يضع الشخص في يديه قطعة معدنية ويرحل!

ولقد دنتْ منه سيدة في الثلاثين من عمرها، أيقن أنها ستصطحبه معها ولكنها أكتفتْ بإعطائه بعض النقود وحبّة تفاح من حقيبتها البلاستيكية، ورحلتْ! بعد أن ربّتتْ على كتفه في إشفاق، ما أثار حنقه، فألقى بالنقود بعيداً، وكاد أن يلقي بالتفاحة هي الأخرى، لكنة أبى أن يفعل.. مُستحراماً!

فقد آمن أن التفاحة من خلق الله، أما الأموال فمن خلق البشر! وهو لا يملك شيئاً في الحياة سوى إيمانه.

وكان لديه يقين بأن الله سيعوضه يوماً عن كل معاناته. تنهد بصوت مسموع، وهو يقول في نفسه:

— بالتأكيد سيعوضني.

ومع أنه تساءل ذات مرة، لمَ قدر الله له أن يكون من أطفال الشوارع بلا أب، ولا أم ولا حتى مأوى؟

فقد واسى نفسه بكلمات أحد المشايخ في صلاة الجمعة وهو جالس بجوار المسجد ينتظر صدقات المصلين:

— لله حكمة فيما يقدره، لا يعلمها إلا هو.

كان قد تشبع من رائحة اللحم المشوي، فمضى يُكمل تسكعه في الشوارع، وبينما كان يتطلع إلى واجهات المتاجر الزجاجية، استوقفته لعبة معروضة أمام أحد متاجر الألعاب؛ حقيبة بيضاء بها أدوات تماثل أدوات الطبيب، لطالما حلم أن يصبح طبيباً، يرتدي معطفاً أبيض؛ يُشفي البشر، وربما الحيوانات.

دلف يسأل البائع عن ثمنها، فأخذ البائع يرمقه في شفقة يشوبها شئ من التقزز.
— إنها غالية الثمن.

لكنه أخبره بثمنها بعد أن رجاه الطفل، غادر الطفل المتجر ينظر فيما يملكه من مال، فإذا به قليل.. قليل جداً.
فأبتعد عازماً أن يجمع المال!

قصد بائع الأحذية الذي يلجأ إليه من وقت لآخر؛ ينظف له متجره، ويحضر له البضائع من مخزنه، ليعطيه المال، وقد أنجز عمله هذه المرة في وقت قصير حتى يتسنى له المرور على جميع المنازل التي كان يقصدها ليعطوه المال والطعام. وفي الليل جلس أسفل سلم أحد المنازل يحسب أمواله التي جمعها، فقد اقترب كثيراً من إتمام ثمن اللعبة.

في ظهيرة اليوم التالي، وبعد أن أكتمل المبلغ بأكمله، بل زاد عليه بقليل، توجه نحو متجر الألعاب فرحاً.

فوجئ البائع عندما وضع الطفل له بعض الأوراق والعملات المعدنية على مكتبه الزجاجي:

— أريد تلك اللعبة التي سألتك عنها أمس.

تأمله البائع وقد انتابته الحيرة قبل أن يقول:

— آسف يا بني، فقد بيعت تلك اللعبة أمس.

ثم صمت يتأمل وجه الطفل الممتقع، وعندما انتبه لترقرق الدموع في عينيه، أضاف مشيراً بإصبعه إلى داخل المتجر:

— انظر هناك ألعاب كثيرة، يمكنك انتقاء واحدة أخرى.

لم ينبس الطفل بكلمة، غادر المتجر مبتعداً وقد خيم عليه الحزن، ولم يكثر حتى بالبائع، الذي خرج خلفه سريعاً يناديه:

فقد نسي أمواله!

أسرع الطفل من خطواته حتى بدأ بالركض، والدموع تسيل من عينيه،

تسمر البائع أمام المتجر يراقبه في شيء من الوجوم، وهو يتعجب كيف لطفل فقير مثله أن يترك أمواله ويرحل؟

ولكن الطفل لم يكن ليأبه أبداً بأمر المال..!

أنثى ساذجة

إنني أنثى ساذجة، تلتقط شبك حبك دون عناء منك، إنني
أنثى خائنة لنفسى عندما أراك ترسل ملاكك ليقدفني بسهام
حبك، وأقف أنا واجمة دون أي مقاومة.

أنني تلك التعيسة التي تسمح لها بالولوج برهة في قلبك لتذوق
حنانك، قبل أن تلقي بها مرة أخرى على شاطئ النسيان لتتشيح
من قسوتك.

أنني عبدة لك، تأمرها بالصلاة كل يوم، ثم تكافئها بعذابك
القاسي في جحيم شوقك.

إن العبد يتمنى أن يكون حرّاً، وأنا الحرة التي تنساق بإرادتها
لتكون عبداً.

يا لي من ساذجة،

ترى بك شيطاناً عازماً على تحطيمها حين يجتمع بها، ومع
ذلك تخضع لأمرك وتندفع بسرعة نحو أشواكك.

إنني أشعر بالأسى لحالي، وأنا قانتة جوارك بالعربة، أدرك
نواياك المدنسة.

أعلم أنك لن تسمح لي أبداً بكسر كبريائك وعظمتك ،
وتعلم أنت أنني لن أحاول أبداً فعل ذلك ، فلقد روضتني جيداً
منذ لقائنا الأول ، والآن أنا مُسخرة لخدمتك ، ولإشباع شهوتك .
وتعلم أيضاً أنني لن أتردد عندما تأمرني بأن أنتزع عني
ملابسي ، وأسجد أسفل جسدك .
وبعد أن تتشبع مني ..

ألملم ملابسي وأنا أطوي بها دموعي الممزجة بسعادتي التي
دامت برهة بين أحضانك وحزني الذي سيدوم بعد فراقك .
وأسألك إن كنت تُريد مني شيئاً آخر ، فتشيع بيديك وكأنك
تقول لي ..

اغربي عن وجهي !

فأغلق باب شقتك في هدوء ، وأتحمل نفسياً عناء نزول تلك
السلالم التي ارتقيتها معك فرحة ، أقفز بجانبك كطفلة صغيرة .

أُسكع قليلاً في شوارع المدينة ، وأشتري ما أحججه وما لا
أحججه !

وهدية جديدة لك لتضيفها بجانب هداياي السابقة التي قبعت
في صندوقك القديم ، الذي رأيتَه صدفَة أسفل فراشك ، في إحدى
ليالينا ..

— نعم هذه ستعجبه !

أضم هديتك إلى قلبي وأحرص عليها بعناية وأتأملها وأنا عائدة
إلى منزلي..

أجلس بجانب شرفة غرفتي وأخبرها كم أحبك، كم أعشقتك،
كم أدمنك.

أتطلع إليها بعين دامعة، وأنا أتمنى أن تكون هي ممحاة دناسة
ذكرياتك معك، وأن تبدل صورتني الساكنة في عقلك، وتخبرك بما
حاولت أن أخبرك به طيلة الأعوام السابقة..

— إنني أحبك حقاً، وأريد أن أكون حبيبتك، لستُ عاهرتك..!

وبعد أن أضع هديتك فوق نفس المنضدة التي وضعت عليها سابقتها
أجلس على فراشي، وأبكي بحرقة وندم، على حبي لك إلى حد
الإدمان، وأسب نفسي وأنعت نفسي بالعاهرة، وربما أطم وجهي عقاباً!
ومن ثم أتخذ قراراً بالألقاك أو أخضع لك إلا عندما تخبرني
بحبك، وعن مستقبل علاقتنا معاً..

يجب أن أغيب عنه، فنحن نحتاج أن نغيب أحياناً عن
القلوب المريضة.. لكي يتم شفاؤها.

— نعم إن لم يفعل فلن ألقاه مرة أخرى.

وأحفظ نفسي وألصق بها صفات لستُ منها في شيء،

مثل الجسارة، والقوة، والكبرياء، قبل أن أخبئ رأسي أسفل
الوسادة في محاولة للهرب من صخب أفكارك حتى أعط في نومي.

وفي صباح اليوم التالي يبدأ انتظاري لومض هاتفني ، برسالة منك تعبر فيها عن سعادتك بوجودي في حياتك ، كما كنت تفعل في لياالينا الأولى.

أنتظرها ليلة إثر ليلة ، لكنك لا تفعل ، فأفقد الأمل وأضع أملني على رسالتك القادمة التي تطلبني فيها للقاء جديد! ولكن حتى تلك لا تأتي ، إلا إذا أرسلت لك عشرات الرسائل أخبرك فيها بأني مشتاقة لك.

كم أمقت قلبي بشدة عندما يشتاق إليك ..
يشتاق إلى مُعذبه!

وبعد عدة أيام يوقظني صوتك من نومي :

— أنا أسفل منزلك أنتظرُك بالعربة ، هل ستأتي؟

أتناسى وعدي لنفسي ، وأرتدي ملابسني في لهفة وشوق ، وأنزل السلالم مسرعة ، أفتح باب عربتك وأجلس بجوارك باسمه ، فتنطلق بالعربة.

وتتكرر مُعاناتي معك ...

أيقن أنه سيأتي يوم أقص على الله مُعاناتي ،

ليتدخل ويوقفها ..

قبل أن أوقفها أنا بانتحاري ..!

معملاً!

كم أدين بالشكر لمن مر في حياتي مُسرِعاً
دون أن يفرز خناجره في قلبي!

بائعة الليمون

في الصباح الباكر، استفاق الطفل من نومه، ودلف إلى المطبخ يبحث عن شيءٍ ليأكله، فتحت الثلاجة ولم يجد شيئاً، فدلف سريعاً إلى غرفة أمه ودنا من فراشها وأخذ يهز جسدها ليوظها من نومها العميق الذي غَطَّت فيه منذ ساعات قليلةٍ من صخب الأفكار الذي أفلقها طوال الليل، فاستفاقت الأم فزعة تسأل الطفل:

— ما بك يا بني؟

— أمي، إنني جائع!

نهضت الأم من فوق الفراش تربّت على كتف طفلها، وطلبت منه أن يهدأ ويلهو قليلاً بألعابه إلى أن تحضر له الطعام. توجهت إلى المطبخ، وفتحت الثلاجة بعين ترقرت فيها الدموع!

لم تجد شيئاً يسد جوع ابنها، ولو حتى لقمة خبز جافة.

بحثت بتمعن في كل أرجاء المطبخ، حتى داخل الأدراج الخشبية، وعادت مرة أخرى تنظر داخل الثلاجة الفارغة.. لا شيء!

وقفت في منتصف المطبخ وقد ران على وجهها الحزن، حائرة، عاجزة، وكأنها فوجئت بالأمر!

فقد كانت توقنُ منذ أمس أن المنزل فارغ تماماً من أي طعام، فهذا ما أقلقها طوال الليل تفكر، وما فعلته كان على أمل أن يكون نظرها قد خدعها، ولم تنتبه لوجود لقمة هنا أو هناك.

— أمي، إنني جائع!

أثقلتها كلمات ابنها المنبعثة من الغرفة المجاورة، فجتت على ركبتيها، تجهش بالبكاء، وهي تتساءل من أين لها أن تحضر الطعام؟!.. هل تشتريه؟

وكيف تشتريه؟ تحتاج مالاً، ومن أين لها أن تأتي بالمال، فلم تعتد قط أن تدخر مالاً مما يعطيه لها زوجها، فقد كانت تشتري به احتياجات المنزل، ولا تطلب مالاً آخر إلا عندما ينفد الطعام.

ولكن أين زوجها الآن، فلقد هجرها منذ أيام بعد شجارهما الأخير، ليحيا هانئ البال مع زوجته الجديدة، الصغيرة، الجميلة كما أخبرها.

— من أين لي يا رب بالمال، طفلي جائع، وأنا حائرة، عاجزة عن فعل شيء؟!!

أخذت تكفكف دموعها التي ذرفت، وهي تعتصر ذهنها بحثاً عن خلاص مما أسمته مصيبة.

وبعد هنيئة، راودتها فكرة أن تبيع شيئاً، ولكن ما هو الشيء؟! كانت تأمل لو كان بحوزتها قطعة واحدة من ذهبها الذي أعطته

لزوجها منذ شهر، لتعاونه على سداد ديونه كما أخبرها.

— أي شيء يا رب؟! —

وعندما كانت تجوب بعينيها هائمة، استقرت عيناها على علبة كرتون كانت قد وضعت فيها بعض الأشياء البلاستيك والألمونيوم التي لم تكن تحتاجها.

نهضت من مجلسها، ودنت من العلبة تتفحص ما بها، قبل أن تعبت بكل الأدراج وتلتقط منها أشياء لتضيفها إلى العلبة الكرتون.

غسلت وجهها بالماء في عَجَل، وارتدت عباءتها السوداء، وأحكمت حجابها بإتقان حول رأسها.

حملت العلبة الكرتون أعلى رأسها، وطلبت من ابنها أن يرافقها، فلم يرض قلبها أن تتركه وحده يئن من شدة الجوع.

وقفت أمام متجر الخردوات المغلق، بذهن هائم، وقد ازداد فوق حزنها.. حزناً، وهماً.

كادت أن تبكي، لولا أنها تحاملت على نفسها، وحافظت على دموعها مكبوتة، وضعت العلبة الكرتون من فوق رأسها، وجلست بجوار طفلها تنتظر صاحب المتجر!

في حين أخذت تشغل طفلها ببعض القصص، حتى ينسى جوعه، وظلا على هذا الحال ساعة أو أكثر بدقائق.

أتى صاحب المتجر يفتح باب متجره، وهو يتأملها مُتفحصاً
قبل أن يدرك أنها جاءت لتبيع شيئاً عندما زاغت عيناه على
العلبة الكرتون.

كانت قد وقفت حينئذ وطلبت منه ذلك بالفعل، أخبرته بأن
معها بعض الأشياء التي تريد بيعها.

أخذت الأموال من البائع راضية بما قدره ثمنا لتلك الأشياء،
ومضت تبتعد وطفلها معلق بيدها، وفي طريقها اشترت بعض
الطعام، الذي سدت به جوع طفلها عندما عادت إلى المنزل.

نعم أطعمته!، لكن الجوع وحش قاسٍ، لن يلبث حتى يؤجج
ناره في أمعاء الطفل، هكذا قالت في نفسها.

جلست فوق مقعد تفكر، ومعها بعض المال، ولكن هل ستقدم
على بيع أدوات وأثاث منزلها؟

ولو فعلت، فسيأتي وقت تجد نفسها تقطن منزلاً بلا أثاث.
راودتها فكرة أخرى، لكنها تحتاج مالاً أكثر مما تمسك به
بيديها!

نهضت من فوق مقعدها، وأخذت تجمع بعض الأشياء في
علبة كرتون أخرى، أشياء أثقل وأكثر قيمة، وذهبت بها لنفس
التاجر، ولم تصطحب طفلها معها هذه المرة.

باعتُ الأشياء وأخذتُ المال، وفي طريق عودتها لجأت لتلك السيدة العجوز التي كانت تشتري منها ما تحتاجه من خضروات وفاكهة، جلستُ معها وقتاً طويلاً كان كافياً لتقص عليها قصتها، وتخبرها برغبتها!

وقد أشفقتُ العجوز على حالها فأعطتها سلة من الليمون نظير نصف الثمن، على أن تُعطيها النصف الآخر بعد بيعها. حملتُ السلة، وأخذتُ تجوب الشوارع وتمر على البيوت.. تبيع الليمون.

ولقد باعتُ كل ما في حوزتها قبل أن يظلم الليل، وعادتُ بعدئذ للعجوز، أعطتها باقي الثمن، واتفقتُ معها على صفقة جديدة للغد!

عادتُ إلى منزلها بقلب مفعم بالبهجة، وحملتُ طفلها الذي كان قد نام على الأرض بجوار ألعابه، وضمته إلى صدرها وغطتُ في نوم عميق.

وفي الصباح الباكر، وبعد أن أطعمتُ طفلها وتركته يلهو، ذهبتُ إلى البائعة العجوز، وحملتُ سلة الليمون، وانطلقتُ تجوب طرقات جديدة!

ومنذ هذه اللحظة باتتُ (بائعة الليمون).

ألحقتُ ابنتها بالمدرسة، وترعرع ابنتها حتى باتتُ شاباً وحملتُ عنها عناء العمل، وخلال هذه الأعوام لم يظهر زوجها قط!

كانا قد نسيا وجوده بالفعل...!!

قبلة مفتعلة

ومات الحبُّ عند أول قبلة!

قبلة مفتعلة.. كاذبة.

وكسرت الزجاج الأبيض الشفاف، بأناملها الخادعة، ولكن العيبُ عيبي لأنني صدقتُ كذبتها وقبلتُ لعبتها ودخلتُ في معركتها، وتصارعتُ مع حياتي من أجل وهم أسميته أحلامي.

ولهذا انهزمتُ ومن ذاك الذي لا ينهزم أمام الحياة؟

أتذكر كلماتها لي قبل المعركة.. قبل اللعبة!

همستُ في أذني..

— افعليها!.. افعليها من أجلي؟

نظرتُ إلى السماء الزرقاء وتساءلتُ:

— لمَ عليّ أن أفعلي؟

رد عليّ صوتها ذو الدلال المفتعل الذي كان لا يزال يهمس في
أذني:

— لقد فعلتها قبلا من أجلك.. ولا زلتُ أفعلها؟

فأسدلتُ جفنيّ فوق عينيّ وتأمّلتُ الظلام الدامس، رأيتُ نفسي
معها بجوار نهرٍ من الماء العذب النقي، وبداخله يتلأل اللؤلؤ.
رفعتُ الجفون من فوق عينيّ ونظرتُ إلى الحياة وهي تقف
بداخل الحلبة تنتظرني!

فنزعتُ عباءة الخوف ولم أدرك أنني أنزع معها عباءة الحكمة!
وانقضتُ على الحياة أصارعها، أخذتُ أصارع بكل قوتي،
أما هي فرقدتُ على عرشها تراقبني مبتسمة.
وعندما كدتُ أن أهزم، نظرتُ إليها ألتمس تشجيعها لأهزم
الحياة، وبدا لي أنها تدرك ما أحواجه، فطارتُ في الهواء
واقتربتُ برأسها مني والتقطتُ شفاتها شفتي وقبلتني، وحينئذ
أدركتُ كذبتها..

أدركتُ خدعتها!

حدقتُ فيها بعين جاحظة وهي تعود إلى عرشها..

لقد خدعت!

مكثتُ مكاني واجمًا برهة وأنا أدرك تلك الحقيقة، وتمنيتُ لو
أنها قبلتني قبل المعركة، لكنّ اكتشفتُ خدعتها.

حينئذ توجستُ صوت أقدام الحياة تتسارع نحوي..

ماذا!!

لقد نسيْتُ أنني في معركة!

التفتُ سريعاً للحياة، ولكن كانتُ قد طعننتني بخنجرها قبل
أن أدرك صورتها، فهويتُ على الأرض تسيل الدماء مني.
وابتسمتُ هي.. الكاذبة، وابتسمتُ أنا.. المهزوم.
وأُسدل الستار على مسرحية بطلتها خادعة، وبطلها ساذج.

جسد لا يعرف الحب

التصقت شفتانا كما التصق قبلها جسدانا، وغرق جسدي
بين ذراعيها، قبل أن أطوق عنقها بذراعيّ، بينما أضع قبلاطي
أسفل شحمة أذنها ألتمس النشوة، والسعادة تُلقني برحيقها عليّ.

مكثتُ في نشوتي هنيئة..

ويغتنة، كُبل ذراعاى وجحظت عيناى، وامتنع وجهي،
وشعرتُ بهزع الوجود من حولي!

تأجج قلبي وتوجستُ أنينه، وأخذ فمي يلفظ طعم السعادة
الكاذبة التي تجرعتها باسم الحب، باسم السراب.

سراب رمقته بعيداً يرسم على الجبال بحوراً..

فتشبثتُ به، وأمضيتُ أدنومنه، حتى هويتُ بإرادتي بداخله،
فإذا به حجر قاسٍ، ينقش جروح الخداع وثقوب الكذب فوق
جسدي.

هوتُ قطرات من عينيّ، قطرات ملتهبة من الألم ومفعمة
بالأسى على حالي.

أهذه هي الحقيقة؟

أكتشف أن كل هذا مجرد سراب!

وعندما شعرتُ هيَّ بحرارة قطراتي التي اخترقتُ عنقها،
مالتُ برأسها للخلف قليلاً تسألني..

— ما بك؟

حدقتُ في عينيها، فكُشف لي عن عدسة لا ترى من الناس
سوى أجسادها.

عدسة اختزلتُ كل معاني الحب والعشق في نشوة جسد،

ورغبة حيوان..

جسد لا يعرف الحب!

— ما بك؟

أعادتُ سؤالها، ولكنني لم أنبس بكلمة من فعل الوجوم الذي
خيّم على وجهي.

ضمتني إليها وأخذتُ تواسيني بشفتيها وتضع قبلات حارة
فوق وجنتي، ولكن قد فات الأوان فقد كشفتُ لثام الكذب عن
نواياها القذرة، عن سماجة شفتيها، وفضاظة قلبها الأسود،
وفحيح كذبها.

تخلصتُ من بين ذراعيها، ودفعتُ جسدها بعيداً، بينما
تصلب جسدي كالجماد.

اعتدلتُ في مجلسها ترمقني في حيرة، فالتفتُ برأسي إلى الجانب
الآخر لابتعد بنظري عنها، فنهضتُ وأخذتُ تلملم ملابسها، ومن
ثم قالتُ:

— وداعاً.

لم تمكثُ إلا قليلاً حتى غادرتُ الشقة، ودوى صوت إغلاق
الباب، قبل أن يخيم الصمتُ مرةً أخرى، وأنا متصلب بعين
جاحظة تتساقط منها القطرات، فتبلل أشلاء الفراش.

وبغثة أجهشتُ بالبكاء!

شهور، أعوام، قرون..!

مرتُ مليون عام على حزني في ساعات قليلة.

ومن ثم ابتسمتُ!

وكأنني لم أبتسم قبلاً، وقلتُ في قرار نفسي:

لقد تعلمتُ درساً للحياة.

المنكبوت

جلس هو وصديقه فوق مقعدين من مقاعد المقهى مواجهين
لشاشة العرض، حتى يتسنى لصديقه متابعة المباراة، أما هو
فأخذ يجوب بعينه مُتأملًا ما حوله.

جاء طفل صغير يتسم بشعر مُجعد وبشرة شديدة السمرة،
وسألهم عن مطلبهم، طلب صديقه عصير الليمون مع الشيشة
كعادته عندما يجلس في أي مقهى، أما هو فطلب فنجانًا من
القهوة واكتفى بسجائره.

أشعل سيجارته وأخذ يتصفح مجلته العلمية بينما كان يرتشف
رشفة من فنجان القهوة من وقت لآخر.

ضايقه خبر أن هناك عالمًا يُجري أبحاثًا على النباتات ليتأكد
إن كانت تشعر بما حولها... وتتألم!

فقد كان يُحب الحيوانات، ويعتبرها عائلته، ولقد تأكد من
ذلك عندما قرأ عن نظرية التطور وآمن بها.

لذا لطالما أمتنع عن أذيتها بأي شكل، حتى أنه كان يأبى أن يُقلب الصفحة قبل أن تمر النملة من فوقها، وتجنب أكل اللحوم منذُ صغره، مما كان يُثير حفيظة أمه، ولقد وبخته أكثر من مرة على ذلك، خاصة أنها كانت ترى التذمر يعتلي وجهه عندما تضع طبقاً من اللحم أو البيض على المائدة، وخاصة البيض، فكان يعتقد أن البيض جنين سُرق من أمه!

ولقد ناقشته وجادلته، ولكن لم تلبث أن سئمت تلك المجادلات واعتادت الأمر، حتى أنه تحول الأمر إلى مُزحة، عندما كانت تمد قطعة من اللحم نحو فمه بغية ممازحته.

أغلق المجلة، خشية أن يقرأ ما لا يريده.

فأكثر ما يخشاه النباتيون، أن يخرج عليهم أحد العلماء بدليل يؤكد بأن النباتات تتألم، حينئذ لا مفر من الانتحار!

بدأت المباراة وأخذ الجميع يتابعها في اهتمام، باستثنائه هو، فلم يكن يكثرث للمباريات قط، أخذ يتطلع إلى ما خارج الشرفة الكبيرة، قبل أن ينتبه إلى العنكبوت الذي كان ينسج خيوطه في زاوية الشرفة، وبدا أنه قد شرع في نسجها منذُ برهة، ولقد ابتهج لذلك فلم يتسنى له يوماً مراقبة مثل هذا الأمر، أخذ يتأمله باهتمام.

كان صديقة لا زال يُتابع المباراة، فقال له:

— انتبه لهذا العنكبوت؟

التفت له صديقه، ومن ثم أخذ يجوب بعينه بحثاً عنه، قبل

أن يُشير هو إلى زاوية الشرفة ، فأنتبه للعنكبوت وأخذ يتأمل بهرّة
قبل أن يعود وينظر إليه ، ويقول ..

— عندما تتأمل في مخلوقات الله ترى العجب .

قالها وعاد يتابع المباراة .

هُنَيْهَةَ ، وأتى الطفل الذي يعمل في المقهى ، وبدا أنه انتبه
هو الآخر للعنكبوت ، دنا من الشرفة واستند بجانبه الأيمن على
الحائط ، يتأمل العنكبوت ، في حين أخذ هو يراقب الطفل في اهتمام .

وبغته ، رفع الطفل يديه والتقط العنكبوت في حركة سريعة ،
وأخذ يعتصره بين أصابعه في قبضة قوية قبل أن يرخي قبضته
ويتأمله وهو ميت في راحة يديه ومن ثم يُلقي به من الشرفة !

في حين كان هو واجم أمام ذلك المشهد ، وقد أخذ وقتاً ليس بقليل
ليدرك ما حدث قبل أن ينهض ساخطاً عازماً على توبيخ الطفل ،
وكاد أن يفعل ، ولكن خالجه صوت الموجودين وهم ينهضون مهللين ..

— جووووووووول!

تطلع إليهم بهرّة مُتأملًا ، قبل أن يعود ويجلس مرة أخرى
ويقول مخاطباً صديقه وقد ارتسم على وجهه ابتسامة ساخرة :

— عَبت .. !

التفت له صديقه يرمقه في تعجب ، وبدا أنه لم يفهم مقصده :

فعاد يُتابع المباراة !

الرفيق

سألتهما:

— أهكذا يكون الحبُّ؟

دنتُ مني وهمستُ في أذني..

— نعم إنه الحبُّ.

وسألتهما:

— كيف يبقى الحب دون بقاء روعي في داخلي؟

أجابتُ:

— لا تحتاجُ لروحك وأنتَ معي.

— إذا ماذا أحتاجُ؟

— تحتاجُ إليّ، أتحبني كما أحبك؟

أجبتها قائلاً:

— انظري لتلك السماء ألم تتحول إلى الأزرق بفعل حبي لك؟

قالت :

— أعطني قلبك.

سألها :

— وكيف أعيش بدونه؟

أجابت :

— أنت لا تحتاج له ، فأنا قلبك .

سلمته لها ، فردت عليّ بقلبيها ، فسألت قلبها إن كان يُحِبُّني ، فوثب من راحة يدي ودلفَ إلى تجويف قلبي وسكنهُ ، ووضعتُ كفي عليه كدرعٍ لحمايته ، فابتسمتُ لي ومضتُ تبتعدُ ، رمقتها وهي ممسكة بقلبي بين راحة يديها ، فأسرعتُ إليها وعندما بلغتُها أخذتُ أسير بجانبها ، فدنونا من بحيرة صغيرة يتألاً بها اللؤلؤ ، رفعتُ قلبي عالياً نحو الشمس وهي تغرب ، ونظرتُ لي وقالت ..

— والآن سأعلم إن كنتَ تحبني !

وضعتُ قلبي في مياه البحيرة ، فلم تلبث المياه حتى شكلت صورتها ، فأخذتُ ترمق صورتها في شيء من السعادة ، والتقطته من المياه ووضعتَه في تجويف قلبها ومن ثم احتضنتني في قوة ، وهي تهمس في أذني :

— أتحبني؟

أجبتها :

— أمازلتِ تسألين؟

— بل أريد أن أسمعها منك.

وضعتُ يدي على مؤخرة عنقها فاستشعرت حرارتها وأنا
أجيبها:

— أحبك.

فتألأت عيناها من وراء الدمع ، وأسدلّت جفنيها واحمرتُ
وجنتها خجلاً وغاصتُ بين ذراعيّ وقالتها:
— أنا أيضا أحبك.

وبغتة ، ضغطتُ بذراعيها حولي وهوتُ بي في البحيرة ، فغصتُ
بجسدي معها برهة قبل أن نعود للأعلى مرة أخرى في حين
أخذتُ هي تضحك وترشني بالمياه.

أسدل الليل سدوله وأخذ اللؤلؤ يتلألأ على ضوء البدر،
والفراشات تلتف حولنا، كانتُ تداعب إحداهنّ بأناملها، في
حين أخذتُ أحيطها بذراعيّ وأضمها إليّ، وألتفُّ بها مع
دوران الفراشات حولنا، وأنا أهدقُ في عينيها الذهبية اللون..
حتي ذابتُ أجسادنا في أعماق الحب.

استفقتُ من شرودي على وخز (المحصل) في كتفي، يطلب
التذاكر، فالتقطتُ الثلاثة من جيبي وناولتها له، فتأملهم برهة
ومن ثم أعادهم إليّ ورحل.

عدتُ أستند برأسي مرة أخرى على زجاج نافذة القطار وأنا
أتأملها نائمة بين ذراع صديقي تتلمس الدفء!

ابتسمتُ وأنا أتذكر الخيالات التي راودتني منذ قليل.

لطالما أحببتها بشدة ولكن لم أتجاسر قط على الإفصاح لها عن
حبي، وقد كنتُ أقرب أصدقائها، أرافقها إلى كل مكان تذهب
إليه، وأجلس أصغي لهمومها ومشكلاتها، وأعاونها على الخروج
منها، وقد عرفتُها على صديقي هذا يوماً.

فجاءتني بعدئذ بأشهر تخبرني بحبها له، وتطلب مني أن
أنبهه لهذا، وقد امتثلتُ لها وأخبرته بدموع مكبوتة عن حبها.

وها هي تحيا في سعادتها التي اختارتها، في حين لازلتُ أنا
الصديق الوفي الذي يرافقها إلى أي مكان تذهب إليه!

مهلاً!

أحب صورة منقوشة في تجويف قلوبنا،
وليس كلمة بخطها قلم رصاص لك تُمحي!

الأزرق كله عتق

سرنا معاً بالطريق، بعد أن رفضتُ أن نجلس على إحدى المقاهي
نرتشف شراباً، كنتُ قد تعرفتُ عليها عن طريق الانترنتُ منذ
أكثر من عامين، توطدتُ فيهما علاقتنا إلى حد الإفصاح بالحب،
ولقد حددنا موعداً للقائنا هذا، ومع أنني سمعتُ صوتها كثيراً
عبر الهاتف، إلا أنه بدا أكثر دفئاً وأكثر رقة!

كانتُ تسير هادئةً متأخرة عني بخطوات، فقد أخبرتني بأنه
لا يروق لها أن تسير بجانب ولد!، ولقد امتثلتُ لرغبتها وسيرتُ
أمامها وكنتُ أتلفتُ خلفي من حين لآخر لأتأكد من أنها قريبة،
وبمقدورها سماعي، قلتُ لها معلقاً على ملابسها:

— أحب اللون الأزرق.

فمازحتني قائلة:

— لو كنتُ أدري، ما ارتديته اليوم.

نظرتُ لها في تدمر، فأضافت:

— أنا أيضاً أحبه.

- وأي من درجاته تفضلين؟
- كل درجاته ، فالأزرق كله عشق!
- وجف قلبي بشدة عندما قالت عبارتها هذه، لطالما بحثت عن كلمات أصف بها اللون الأزرق..حقا إن الأزرقَ عشقٌ.
- استوقفتني ، فوقفتُ واستدرتُ مُتسائلاً:
- ماذا؟
- نسيْتُ أن أخبرك بشيء مهم!
- وما هو؟
- أحضرتُ لك هديه.
- ابتسمتُ فرحاً كالطفل الصغير وأنا أسألها في شغف:
- أين هي؟
- دعنا نتخذ سائر لنتوارى عن أنظار المارة، فلن أعطيها لك في منتصف الطريق!
- أخذتُ أحوم بعينيّ متأملاً المكان حولي:
- حسنا ما رأيك بهذا المكان؟
- ذهبنا إلى جانب الطريق، ووقفتُ أمامها أراقبها وهي تفتح حقيبته وتسد يديها بالداخل، وعندما أخرجت الهدية، هوى هاتفها من الحقيبة ومعه بعض المناديل الورقية، فانحنيتُ وناولتها هاتفها، وأخذتُ أجمع بعض المناديل المبعثرة، قبل أن تمنعني:

— لا، لا..لا يهم.

فألقيتُ المناديل التي جمعتها، وقد اجتاحني الخجل، وشعرتُ بسذاجتي، فقد كنتُ أنوي جمع مناديل ورقية.. بالتأكيد تلوثت من الأرض!

استقمتُ مرةً أخرى والتقطتُ هديتي في شيء من الارتباك، حتى أنني تلعثتُ وأنا أشكرها، ولقد انتبهتُ لأحمرار وجنتيها، وبدا أن كل منا ليس بمقدوره أن يضيف كلمةً أخرى.
أومأتُ لها أن نستكمل طريقنا.

استرسلنا نتبادل الحديث في مواضيع شتى لكنها تتمحور عنا، عن حياتنا..علاقتنا.

كنا قد اقتربنا من ناصية الطريق، وعندما انتبهتُ لصمتها، استدرتُ لأتأكد أنها خلفي، فإذا بها منحنية تمسك بطرف حذائها ويبدو أنها تعثرتُ في أحد الأحجار!

ضحكتُ ضحكةً مكتومة ساخرة وافتعلتُ انشغال عينيَّ بالمارة قبل أن تعتدل وتدنو مني مطأطئة رأسها من شدة الخجل.

سارتُ بجواري بضع خطوات وعندما بلغنا ناصية الطريق، استوقفتني، وصمتتُ برهة قبل أن تقول:

— حسنا، عليكِ العودة.

كانتُ قريبة مني حينئذ، فأُتيح لي أن أتأمل قسماتِ وجهها، ومع أنني تأملتُ العديد من الصور التي أرسلتها إليَّ عن طريق الانترنت إلا أنها بدتُ أكثر جمالاً!

كانت هي الأخرى رافعة رأسها قليلا تتطلع إليّ نظرة فاحصة
- سألتها لاحقاً عبر الهاتف عن سر تلك النظرة، فأخبرتني أنها
كانت تستكشف لون عينيّ! ،

كنتُ لازلتُ أقف أمامها أتأملها شارداً، فأخرجتني من
شرودي بسؤالها:

- ما بك.

- لا شيء.

- حسناً، إلى اللقاء!

وعندما كانت تتأهب للرحيل، سألتها..

- هل سنلتقي ثانيةً؟

فابتسمت وألقت ذلك على مشيئة الله، وأخذتُ تبتعد، في حين
مكثتُ مكاني أتابعها بعينيّ حتى اختفتُ بين المارة.

تأملتُ ساعة هاتفي، فأمامي طريق طويل لأعود إلى منزلي.

في مقعد الحافلة أخذتُ أسترجع كل ما حدث، وأنا أتساءل
إن كنتُ أروق لها كما راققتُ لي، ولقد ظفرتُ بإجابتي عندما
اتصلتُ تطمئن على وصولي في منتصف الطريق.

مر عام أو أكثر كنا نتواصل فيها عبر الهاتف والإنترنت، قبل
أن نلتقي مرة أخرى.

وقفتُ أهدق في شاشة هاتفي بعد أن أغلقتُ المكالمة معها التي كانت تخبرني فيها أنها ستصل بعد قليل، مرت عشر دقائق، أخذتُ أتطلع إلى المارة حتى انتبهتُ إليها تدنو مني باسمه، مُتدثرة في معطف أزرق بأزرار سوداء مغلقة، وعندما بلغتنني رحبتُ بي دون أن تمد يديها لتصافحني، ولم أمد يدي أنا الآخر، فأنا أعلم مقدار تحفظها في مثل هذه الأمور حتى لو بدتُ بسيطة بالنسبة لي:

— الجو شديد البرودة لديكم؟

— نعم، لمَ لمَ ترتدِ ملابس ثقيلة؟

— إنه حار لدينا.

— على أي حال لن أعطيكَ معطفي.

— ما كنتُ لأطلبه منك، مع أنه يروق لي بشدة.

— أعلم لمَ يروق لك.

ابتسمتُ لها قبل أن أومئ لها بالتحرك، وعلى غرار لقائنا الأول تأخرتُ بوضع خطوات.

كنا نسير هذه المرة صامتين، ربما نتفوه بكلمه أو كلمتين ونصمت، في حين كنتُ أرفع رأسي وأرمق الغيوم التي تراكمت في السماء، قبل أن تقول:

— أتدري أنك أخطأت؟

حينئذ بدأتُ الأمطار تهوي من السماء وتزداد شيئاً فشيئاً، فوقفْتُ واستوقفتها، وأنا أحوم بعينيّ بحثاً عن ملجأ نختبئ به

من الأمطار، أشرتُ بيدي نحو مكان بجانب الطريق، فلجأنا إليه، لم أجب عن سؤالها مع أنني كنتُ أعلم مقصدها، فلقد تعرفتُ على إحدى الفتيات وتقربتُ منها بشكل أثار حفيظتها، فطلبتُ مني أن أبتعد عنها وإلا ابتعدتُ هي عني، ولم ترضها كلماتي عندما أخبرتها بحبها المكنون في قلبي وإخلاصي لها، وأن علاقتي بأي فتاة أخرى لن تتعدى الصداقة البريئة، لكنها تدمرتُ وأخبرتني أنها لا تثق في مثل هذه العلاقات، وربما مع الوقت تتحول صداقتي مع إحداهنَّ إلى حب!

هكذا المرأة دائماً، تظن أن بمقدور الرجل أن يُفرغ قلبه لتسكنه امرأة أخرى، وربما تظن أن بمقدوره أن يُسكن كليهما معاً! وتستدل على ذلك أن هناك من يتزوج أكثر من واحدة! مع أن القلوب لا تُقسم.

وقفتُ بجواري تنفخ في قفازيها، وكنتُ أنا شارد أرمق المطر والعربات التي تمر أمامي وأتابع إطاراتها التي تلتف حولها المياه فتتناثر وكأنها نافورة جانبية، وذلكَ الطفل الذي يمد ذراعه من النافذة وهو باسط كفيه ليلتقط قطرات المطر بينما يقبض أصابعه فوق راحة يديه ويرخيها وكأنما يحاول أن يمسك بها. قالت..

— لم تُجيبيني.. هل تظن أنك مُخطئ؟

— لا أدري عمَّ تتحدثين.

— عن أنك لم تحترم وجودي في حياتك، تصادق هذه، وتمازح تلك!

تنهدتُ وأنا ألتفتُ لها برأسي أرمقها وقد بدا في عينيها السخط الذي كان يزداد شيئاً فشيئاً من كلماتي وأنا أجيب:

— قلتُ لكِ قبلاً إنني أحبك، ولا يسكن ولن يسكن في قلبي
سواكِ، كل ما في الأمر أنكِ تُحملين الأمور أكثر من حقها،
وكل ما فعلته، فعلته بنوايا حسنة، وهنّ كما قلتُ لكِ لسنّ
سوى صديقات وزملاء في الجامعة.

— ليس بمقدورك أن تصادقهنّ، بهذه البساطة!

سألتهما مُستنكراً وأنا أبسط ذراعِي مُتعبجاً..

— لمّ؟

— لأنني في حياتك.

— أنتِ لستِ في حياتي فقط، أنتِ حياتي ذاتها، لكن صداقاتي
معهنّ مُجرد صداقة طبيعية، مثل مصادقتي لأي صديق آخر.

ذكرتُ لها بعض من أسماء أصدقائي الذكور، فعلا صوتها في
شيء من التذمر..

— هذا مختلف، هؤلاء ذكور، وهنّ فتيات.

فعلا صوتي أكثر وأنا أقول لها:

— انظري، إن كنتِ تُريدين التشاجر فأنا...

قاطعتنني في حنق:

— أنا لا أريد التشاجر، كل ما أردته منك هو احترام وجودي
ورغبتني، وأنا لا أقبل وجود أخريات في حياتك مهما كان نوع
علاقتك بهنّ، وإن كنتِ تريد بقائي، يجب أن تحترم رغبتني،
وتمثّل لها!

كانت الأمطار قد توقفت، وانتبهتُ إلى رجل مسن مُطل من شرفة شقته يراقبنا في تأمل، وبدا أنه يُصغي لحديثنا منذ وقت طويل، وربما منذ البداية، فطلبتُ منها أن نستكمل طريقنا.

بعد هُنيئة وبينما أسير أمامها التفتُ برأسي أنظر إليها، كانتُ قابضة على منديل ورقي؛ لم يكن بحوزتها عندما كنا واقفين، وخيل إليَّ أنها بكتُ وأخرجتُ المنديل من حقيبتها لتجفف دموعها، تنهدتُ بقوة ووقفتُ، فوقفتُ وأخذتُ تصغي لاعتذاري:

— حسناً، أعلم أنني كنتُ فظاً في كلماتي، وأعتذر عن ذلك، وسأمتثل لرغبتك، وسأتجنب لقاء أي منهنّ، ولن أصادق أي فتاة أخرى.

فأشرق وجهها ثم ازداد إشراقاً وأنا أضيف أسأل:

— هل صفحتي عني؟

فأجابتنني مازحة وهي تتأهب للتحرك:

— أنتَ أحمق، لكنني صفحتُ عنك.

فضحكتُ لمزحتها وأكملتُ الطريق معها حتى بلغنا ناصيته، وافترقنا كما حدث في المرة السابقة.

كانتُ أيامنا بعدئذ تمضي هادئة مُفعمة بالبهجة، حتى انبعث الخلاف بيننا مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان أكثر جدية، فقد تعرفتُ على زميلة جديدة لي توطدتُ علاقتي بها أكثر من أي

فتاة أخرى، حد الإفشاء بالأسرار، وكانت تصطحبني وأصطحبها إلى أي مكان نذهب إليه!

في بادئ الأمر خشيتُ أن أخبرها عن أمر تلك الفتاة، بالتأكيد لن تتفهم الأمر، ولكنني لما تذكرتُ وعدي لها يوماً بأنني لن أخبئ عنها شيئاً أبداً وخزني ضميري، فاتصلتُ بها وأنا عازم على إخبارها، وبعد إخبارها، قلتُ:

— صدقيني، إنها مجرد أخت لي.

صمتتُ ملياً قبل أن تنهي المكالمة في اقتضاب، حاولتُ أن أتصل بها، لكنها أبت أن تجيب على اتصالي، فانتظرتُ أن تهدأ، بالتأكيد لن يسوء الأمر فأنا أعلم مقدار حبها لي!

وفي يوم فتحتُ بريدي الإلكتروني لأجد رسالة منها تخبرني فيها بأنه ليس بمقدورها الغفران هذه المرة لذا قررتُ الرحيل! حقاً؟!

مكثتُ أياماً بلياليها أنتظر إجابة على رسائلي التي كنتُ أرسلها عبر الإنترنت أو الهاتف على أمل أن تتقبل اعتذاري! لم تجب!

ولكنني لم أستسلم لليأس والقنوط، كنتُ أعلم البريد الإلكتروني لإحدى صديقاتها، فتواصلتُ معها وأخبرتها بكل شيء، وكم أندم على فعلتي ورجوتها أن تصلح الأمور بيننا. مضى يومان، وإذا بها ترسل رسائل ساخطة، ناقمة، لم اعتدها منها قبلاً، تلومني فيها على إدخال صديقته في الأمر، في حين

اجتاحني الوجوم وأنا أقرأ كلماتها القاسية!

أرسلتُ لها:

— كانتُ صديقتكِ آخر أمل لي، فأنتِ لمِ ترددي على رسائلي،
وأنا أحبكِ وليس بمقدوري الحياة بدونكِ

فأرسلتُ ساخرة:

— لا تقلق، ستعاونكِ فتياتكِ على ذلك!

— أعدكِ بالأصدقاء أي فتاة أخرى.

— أنتِ لن تتغيري، وقراري لن يتغيري، لا تحاول التواصل معي.

قبلاً ساورني الشك في جدية قرارها، ولكن الآن بدا أنها
جادة، بل شعرتُ أنها باتتُ تمقتني بشدة!

مضتُ الأيام بعدئذٍ ثقيلة سمجة، وقد داهمتني الحمى أكثر من مرة،
وران على وجهي الهم والحزن، وقد انزويت في غرفتي مُستسلماً لألمي..

رحلتُ ورحلتُ معها سعادتي!

كنتُ أتمنى لو أستفيق من حلمي هذا على صوتها الدافئ!

بعضنا عندما لا يطيق الحياة مع الألم يحاول أن يقنع نفسه
بأنه يحيا كابوساً سيفيق منه قريباً.

ولقد كنتُ من الذين حاولوا ذلك وفشلوا، فقد كان يزداد
يقيني يوماً بعد يوم أنني أحياء حقيقة، ولو كانت غير ذلك فلمِ
لا يأتيني صوتها يسأل عن حالي، كما كان يحدث صباح كل يوم؟

ومر شهر ونصف الشهر على هذه الحال.

لا أدري كيف حدث ولكنه حدث، أرسلتُ تخبرني أنها كانت قاسية معي، وأنها تعتز بصدائتي وتريد الإبقاء عليها.. ولا شيء آخر!!! وكل ما كان بمقدوري فعله هو أن أقبل ذلك، وقد قبلتُ، وظلتُ بعدئذ تعاملني كصديقتها.

ولقد حاولتُ في إحدى المرات أن أستعيد ما بيننا، فقد طلبتُ منها موعداً.. وألححت في الرجاء حتى وافقت.

قابلتني هذه المرة في مكان مختلف، ولقد أحضرتُ معها صديقتها، وجلسنا في إحدى المقاهي، نرتشف عصير البرتقال! لم نتحدث في شيء ذي أهمية، فلقد ضايقتني وجود شخصاً آخر معنا، ما منعني من الإفصاح عمّا بداخلي، فقد كنتُ أنوي أن أعتذر لها عن كل ما سبق، على أمل أن نستعيد ما بيننا. غادرنا المقهى وسرنا قليلاً، سارتُ صديقتها أماناً، وسارتُ هي بجانبني!

ومع ذلك أحجمتُ الكلمات عن الخروج، فانشغلتُ بالتطلع إلى المارة.

برهة وتجاسرتُ وكدتُ أبوح بما في داخلي.

ولكن فاجأني رعب أنفها من فعل الحرارة القاسية انتبهتُ له، وانتبهتُ هي الأخرى، فسدتُ أنفها بظهر أصابعها لتجذب

الدماء، وأتت صديقتها سريعاً وأخرجت مناديل ورقية من حقيبتها وأخذت تمسح لها الدماء التي سالت.

كدت أن أدنو منها لأطمئن عليها، لكنها منعتني بإشارة من كفها، فوقفت مكاني أصغي لصديقتها تخاطبني قائلة:

— سأخذها إلى المنزل.

وقفت أرمقهما في وجوم وهما يركبان عربة الأجرة التي استوقفتها صديقتها، ورحلا.

تسمرت مكاني وقتاً طويلاً حائراً، قبل أن أتخذ طريق العودة.

في مساء ذلك اليوم اتصلت أطمئن عليها، أخبرتني أنها بحالة جيدة، وكدت أن أخبرها عما أردته من لقائنا، ولكنني صمتت ملياً أتمعن التفكير في الأمر.

— ما بك؟

— لا شي، فقط اتصلت لأطمئن عليك.

أنهينا المكالمة بعدئذ، ومكثت أفكر في كل ما حدث، وخاصة آخر لقاء بيننا، وبدا لي أنها لا تنوي أن تستعيد ما بيننا..

ففي هذه المرة لم أرك في الأزرق...!!!

وظلت من يومها تعاملني كصديقتها حتى صدقت الأمر!

نعم لم ترحل من حياتي، لكنها تركت قلبي مفعماً بالخواء!

محاولة أخيرة

انتهت من حصة الموسيقى، فدفلتُ إلى غرفتها تلملم أشياءها،
فإذا به مائل في منتصف الغرفة:

— قلتُ لك قبلاً، لم أعد أريد البقاء معك، رجاءً أرحل.

وضعتُ آلتها الموسيقية في الحقيبة، وافتعلتُ أنها نسيْتُ شيئاً،
فولتُ ظهرها له وغادرتُ الغرفة..

رمقتها وهي تغادر وقد اعتراه الهم،

أخرج من جيبه ورقة مطوية ووضعها بإتقان فوق الحقيبة
ورحل.

كانتُ هذه الورقة خطاباً قضى الليل ينمقهُ كمحاولة أخيرة
منه للإبقاء على حُبهما..ومن ثم غادر.

أتتُ هي بعد قليل، وقد شعرتُ براحة عندما لم تجده.
انتبهتُ للورقة، فدنّتُ من حقيبتها والتقطتها، ومن ثم جلستُ
فوق مقعدها تقرأها في تأمل.

إن أردتِ الرحيل..

فعليك أن تبترى كل الأوتار، وتمزقي كل الألحان، وتهربي،
اهربي من همساتي، واختبئي بعيداً، لا تجعلهم يلحقون بك.. لا
تجعلهم يلمسون وجدانك

اهربي، وأغلقي أذنيك، وإن اشتعلت النارُ في قلبك، فرجاءً لا
تذرفي الدمع،

لا تسمحي لدموعك بأن تشوه وجنتيكِ الناعمين
فقط انسي.. أو تناسي!

وانهضي وتحركي.. حاولي!

حاولي أن تحركي قدميكِ إلى الأمام، وامضي في طريقك دون
أسى.

ولا تنظري إلى الخلف، فأنا لا أزالُ أقفُ أنتظرك.

اهربي، اهربي.. وإن لحق بكِ قلبي، فاقبضي عليه براحة يدكِ
واطعنيه.

اطعنيه بخنجرك.. حتى يموت، ويتوقف عن النبض؛ لكيلا
يحب سواك.

وانبشي الأرضَ واصنعي له قبراً، وعندما تضعينه بيديك، فلا
تنظري إلى دماء الألم وهي تسيلُ منه.

وإن شكلتِ الدماءُ صورتك، فلا تكثرثي ولا تتعجبي، فهو
لا يزالُ يُحبك.

وإن كان لا ينبضُ بفعل الحياة، فهو ينبضُ بفعل حُبك.

أما أنا؛ الجسدُ المنتظر في بداية الطريقِ، فقد هويتُ إلى الأرضِ،
فلم يعد جسدي ينبضُ بالحياةِ، فقد رحلَ عنه قلبه ولحق بكِ،
حاولتُ أن أبقى عليه، حاولتُ أن أنشبتُ به، ولكنه غلبني،
وذهب إليك.

والآن قد متُّ، ولم يبقَ مني شيءٌ، سوى قلبي الذي ينبضُ
بحُبِّكِ في قبره.

أذهبي الآن وابتعدي، ولا تحسبي نفسك قاتلة!

فإن كان قد مات جسدي، فلا يزال حبي حيًّا.

وهذا معنى الحياة بالنسبة لي..

فلا أحتاجُ الجسدَ الثقيلَ لكِ أحبكِ..

لا أحتاجُ الجسدَ الثقيلَ لكِ أحبكِ.

وجيف قلبي

أصغي إلى وجيف قلبي يناديكِ ، ويرجوكِ .. لا ترحلي .
وكلما رقتك عينيّ تبتعدين ، قبضتُ براحة يدي وبكامل قوتي
على خيوط الحب ، وعينيّ الحزينة تواسيكِ وتسألكِ ..

هل هذه إرادتكِ؟

رجاء ، استديري وانظري إليّ !

ما بكِ ، لماذا لا أراكِ تبتمين؟

أين ابتسامتكِ ، دواء كل أمراض قلبي المسكين !

لماذا تتلمصين من بين أزهار الذكريات ، ألا تستنشقين رائحة

عشقي ، وولعي بكِ؟

رجاءً ..

لا تتجاهلي ، ولا تسمحي لعينيكِ بأن تزيغ بعيداً عن نهر الحنين !

أنظري إليه ، وأمعني النظر .. ألا تتذكري؟

ألم تسقط عيناكِ بعد على زورقنا؟

نعم أنه هو، الذي أنقذتني به من أحضان العبث، فأخذ
يجوب بنا النهر حتى اكتشفنا هذه الجزيرة، جزيرة الأحلام
التي كنتِ تتمينها!

سرنا معًا بين الحداثق وأنتِ تدندنين بصوتك العذب فينبعث
صوتك كأنغام الكمان يجذب العصافير، ويبعث في الأزهار الجافة
روحها من جديد، لتنهض، وترقص، وتبتسم، وتحسدك!

تحسدكِ على جمالكِ،

وسحر ابتسامتكِ،

واحمرار وجنتيكِ.

ألا زلتِ لا تتذكرين؟

انظري فوقكِ، أليست هذه طيور الحب كما أسميتها، التي
رافقتنا منذ بداية الطريق، حتى وصلنا إلى جزيرتنا هذه، وأخذنا
نغرس بذور عالمنا في باطن الأرض..

تلكَ البذور التي لم تلبث حتى انبثقتَ منها أشجار وأزهار وألوان
شكلتَ لوحة عظيمة عُلقت على حوائط الحياة يحسدها الحاسدين.

ألا زلتِ لا تتذكرين؟

حسنًا..

سأسدل جفنيّ فوق عينيّ، وسأتمنى أن أستفيق من هذا الحلمِ
وأرمقكِ وأنتِ ساكنة فوق صدري غارقة في نومك العميق..

ولن أخبركِ بأنني حلمتُ بكِ ترحلين!

رسالة من زوجة مخلصه

زوجي العزيز..

أكتب لك رسالتي هذه بعد أن مر بيننا عشرون عاماً حاولتُ دائماً أن أبقى على منزلنا مُفعماً بالحب والسعادة، ولكن لم تلبث أن تبدلت أنت،

فتبدت فيه السماجة، والبذاءة، والخيانة!

تبدت من فعل فظاظة قلبك، وصخب صوتك، وعدم اكتراثك، وإهمالك لي ولأولادك.

لطالما انتظرتُ نُضجك الذي لا يأتي..

لقد اشتقتُ للتدثر بحبك، حبك الذي بات جافاً، لا يُرضي قلبي!

وكلما دنوتُ منك أناقشك وأنكر أفعالك وأخبرتُك بأنني أحبك وأنني زوجتك، ولا أستحق خيانتك، فلطالما اهتممتُ بك ورعيتك، وشاطرتك حزنك وهمك، وتغاضيتُ كثيراً في السابق عن كل أفعالك، لكن لا يمكنني البقاء قائنة بجوارك وأنا أشعر بالخزي والإهانة!

سخطت عليّ وجادلتني وتنصّلتُ من كل فعل تأكدتُ منه بنفسِي، بل وهويت فوقِي بكلماتك البذيئة وصوتك الصاخب.. تتهمني بأنني أفترى عليك!

بينما أنا واجمة جاحظة الأعين أتطلع إليك في تعجب وحيرة، حابسة دموعي، قبل أن تنهي حديثنا في حنق وتغادر غرفتنا، بل المنزل بأكمله. وبعدهُذ أجلس حزينَة مُستاءة قبل أن تذرف عيناى سهواً الدموع التي قهرتها.. دون إرادتي، بل تزيد عليها أطنانا أخرى، حتى أكاد أجزم أن دموعي قد انتهت ولن تجد عيناى ما تذرفه، ولكنك بعددُذ تثبت لي العكس.

أرمق أولادنا وهم يلهون في شيء من الحيرة والقلق على مستقبلهم الذي بات كالخيط الواهن.

أراقبهم وقد تملكني الحزن والهم، وأراهم كقيود تُكبلني بجحيم قسوتك، فتجبرني على البقاء معك.. قانتة، خاضعة، بنفس مُفعمة بالخزي، ليس من أجلك، بل لأجل أولادى الذي أحبهم، وأخشى عليهم المعاناة من سخط الحياة.. بعد رحيلى. تدلف كعادتك بعد مُنتصف الليل إلى الغرفة، فتجدنى مُستلقية على جانبى وعينى الساهرة تتطلع إليك، فتستلقى بجانبى قبل أن تستدير وتعطينى ظهرك.. إعلانا عن تدمرك.

فأتحمل وأصفح عنك، قبل أن أطوقك بذراعى مازحة، فتقبض على ذراعى بقوة وتبعده عن جسدى.

فأرمقك واجمة حزينَة قبل أن أغلق جفنى في محاولة منى للنوم الذى لا يأتى أبدا.. فيظل عقلى ساهراً من صخب الأفكار التى تجتاحه، وأواسى قلبى المشتعل، وأنبش بداخله عن ذكرى جميلة معك أو كلمة حب رقيقة قلتها منذ أعوام مضت، لتشفع لك عندى وعند قلبى الذى أضنته خيانتك.

وتمر أيامنا التالية مضطربة، حتى أتناسى خيانتك وأحاول
جاهدة أن أرضي تدمرك ونقمتك عليّ.

حتى تؤكد لي أنك صفحت عني، بعد أن تُعاتبني على ذنب
لم أقترفه!

وأحاول بعدئذ جاهدة أن أجعلك تدرك حبي الذي لا يزال حيًّا
في قلبي، فأزيد من اهتمامي ورعيتي لك.

فأحیی هانئة بين ذراعيك لأيام، لكن لا تلبث أفعالك أن تثير
شكوكي، ويجتاحني الخوف والقلق حتى أجوب بخاطري هائمة بحثاً
عن تبرير لأفعالك! أواسي قلبي المكتظ بالشكوك بأجوبة اللامنطق!

ولكن ليلة أستنشق عطراً ليس بعطري أو عطرك،

وليلة أمكث فوق أريكتي أنتظر قدومك قبيل الفجر،

وليلة تتوجس أذني صوتاً فأنهض من فوق فراشي، وأتلصص
عليك وأنت تحدث إحداهنّ خلصة بكلمات حب رقيقة،
أنسيتني إياها منذ أعوام، وتحدد معها موعداً للقائك القادم!

فتثقل قدمائي وأقبض عليهما بقوة، على أمل أن أستفيق
من هذا الكابوس، لكن لا ألبث أن أيقن أنه ليس مجرد حلم!

أعود إلى فراشي مُترنحة، وأتوسد وسادتي التي ابتلت من
دموعي.

وتأتي أنت بعدئذ وتستلقي بجواري في هدوء خشية أن أستفيق
على صوتك.

وسرعان ما تغرق في نومك، وأنا لا أزال ساهرة أتطلع إلى
الحائط.. شاردة، هائمة، حزينة،...!...

وفي نهار اليوم التالي أظل أعتصر عقلي باحثة عن ملاذ
يُخلصني من همي وحزني..

هل أواجهك؟

ستهرب من فعلتك وتذمر وتلمنى بقسوة مثل كل مرة،
وتراودني فكرة جديدة، فأجنبك الأيام التالية، مُظهرة عدم
اكتراثي، وأجيب عن أسئلتك بكلمات مُقتضبة، حتى تستشعر
ذلك وتسالني:

— ما بك؟

فلا أُجيب، وإن ألححت عليّ، أُجيب..

— لا شيء.

وتعود بعدئذ بيوم تسألني من جديد، فأخبرك بأن صمتي
أفضل من حديثي، فكلما تي لا تُجدي معك نفعاً فتصمت ولا
تنبس بكلمة، وفي الليل تُخبرني بأنه يجب عليّ أن أخبرك بما
يدور في داخلي.. فأواجهك بأفعالك، فيعود سخطك ونقمتك ويعلو
صوتك من جديد وتعود كلماتك مُحاولاً التهرب.. كما اعتدت
دائمًا، فأنزعج منك ولا أتحمل كظم غيظي فأصبح بك مهتاجة،

— إنني أفضل منك، أما الخيانة، فكثيراً ما حام الرجال
حولي، وكثيراً ما قابلتُ كلماتهم الرقيقة التي تحاول الظفر بقلبي
بكلمات صارمة، قاسية حتى يبتعدوا، ليس لأنني أحبك فقط،

بل لأنني تربيْتُ على الوفاء ومقت الخيانة.

حاولت أن تواسيني مع الحفاظ على تدمرك، فلم يصف أية كلمة، وأويْتُ إلى فراشي، وأنا أتمنى أن نقمتي ولومي يكونان سبب استفاقتك ونضجك.

ولكني اكتشفتُ الآن، أنك لن تتغير أبدا

لذا قررتُ أن أكتب رسالتي لأعلمك أنني راحلة!

راحلة حقا ولن أعود أبداً، لأنني لم أعد تلك الضعيفة التي أراها في عينيك.

فلم أعد أحتمل المزيد من الإهانة معك، ولم يعد يمكنني التغاضي من أجل حبك..

فالحب لا يمكنه أن يسكن نفس البيت الذي يسكنه الكذب والخداع والخيانة..

أما أولادي فسأخذهم معي حتى لا تنقل لهم مرض الخيانة..

راحلة الآن، وسأصفق بابك خلفي وأمضي دون أن أنظر لذلك المنزل البغيض الذي جمع بين الوفاء والخيانة.

راحلة..

ولا تنتظر عودتي...!

رياح سمجة

زرعتُ شجرتي فوق جزيرة يغذيها فؤادي بالحب والسلام،
ويحيطها نهر عذب مُفعم بالحياة.

فترعرعتُ شجرتي وارتفعتُ وتوغلت أغصانها في أعماق السماء.

وتدلّت أوراقها الصفراء الجميلة ترقص على الأنغام.

وجلستُ أسفلها، أنسج خيوط السعادة وأصنع قلادة من
الذكريات.

وبينما كنتُ رافعاً رأسي عالياً أرمق الأوراق، هبت رياح سمجة
قاسية خطفّت الأوراق ومضتُ تبتعد.

فهويتُ بجسدي إلى النهر أصارعه حتى يسمح لي بالعبور
للجانب الآخر، الذي لم أدر يوماً كيف تكون ملامحه.

وعلى الجانب الآخر وقفتُ واجماً أمام نباتات عملاقة سوداء
جافة كحائط ضخّم تمنعني من العبور دون ألم، وقد نثرت على
جذعها أشواك العبيث.

لم أكرث بآلام جسدي فربما تُنسيني آلام قلبي، وتوغلتُ في داخلها بحثًا عن أوراقِي.

وبغته، لمحتُ أوراقِي تلمع كالنجوم وهي مُجبرة على طريقها مع الرياح.

فأخذتُ ألاحقها، وأنا أتخلص بجسدي من بين النباتات وأتفادي وخز الأشواك، بينما أرفع يدي نحو السماء في محاولة لالتقاط الأوراق.

واختبأتُ الشمس أماً وخجلاً،

وهوتُ النجوم واحدة تلو الأخرى، حزنا وأسى.

وأسدل على الوجود ظلام دامس لم يسمح لي برؤية شيءٍ حولي.

وزاغت الرياح بالأوراق حتى غابت عن بصري، أخذتُ أسرع من خطواتي وأنا أتعثر بجذوات ملتهبة تحرق قدمي.

وأكملتُ صراعي مع طريقي الطويل، حتى بلغتُ حافة جبل عالٍ، فإذا بالأوراق تهوي إلى أعماق الظلام، فهوى جسدي تعباً ويأساً، وأخذتُ أمسح العرق الذي أفرزه جسدي.

خيّم عليّ السكون برهة، فتوجستُ أذني صوتاً زاد شيئاً فشيئاً حتى انتفضتُ فزعاً وتطلعتُ من حافة الجبل إلى الأسفل، فإذا بالرياح تظهر وتتجسد في وحش عملاق أسود، بدا لي أنه سينقض عليّ، فهرعتُ فزعاً أعود إلى جزيرتي مرة أخرى.

وبينما كانت يد الوحش ممتدة خلفي في محاولة للظفر بيّ،
وثبتتُ إلى مياه النهر،
وأخذتُ أفقد وعي، بينما تحركتُ المياه من تحتي حتى أَلقت
جسدي على شاطئ الجزيرة.

استفقتُ على وكزات أقدام صغيرة تتحرك فوق صدري،
ففتحتُ عينيّ على طائر أبيض اللون تشوبه بقع صفراء اللون،
أخذ يحدق في وكأنه يواسيني بعينيه الزرقاء، فتلمستُ مؤخره
رأسه براحة يدي واعتدلتُ في مجلسي قبل أن أعود إلى الخلف
بجسدي حتى ارتطم ظهري بجذع الشجرة، ورفعتُ رأسي أتطلع
إلى الأوراق التي تبدل لونها إلى الأزرق.. حزنًا!

وضعتُ الطائر فوق ركبتي وأنا أتلمسه بيدي بينما أتساءل:

متى تجهز الرياح مرة أخرى لي، وأي أوراق ستخطف؟

مهما!

لبيتك قدرتي حقيقة أن كل شيء في الحياة يحيا على عون
الآخر، لعلك تُدرك ما يحتاجه قلبي ليحيا!

احتواء

— ليس بمقدوري أن أحتويك!

هكذا قلتها وعينيك تأبى أن تتطلع إلى الرجاء الذي يعتلي وجهي، لم ترَ الدموع وهي محتجزة أمام عيني، ولم تستشعر ارتعاد قلبي ويدي.

أشرت إلى باب القطار وأنت تنطقها دون غضاضة:

— عليك الذهاب!

كيف يسهل عليك نطقها؟! لم يكن هذا حالنا قبلاً؛ كنت تضميني إلى صدرك، وتخبرني عن حبك، وعن نار الشوق التي ستتأجج في قلبك بعد رحيلي!

لم بات هذا حالنا؟!!

هل لأنني تدمرتُ على تجاهلك لي في الشهور الأخيرة، وقلت لك:

— عندما تتجاهلني، تقولها صراحة.. ابتعدي!

أو ربما لأنني قلتُ لك يوماً، إنك غير قادر على احتوائي،
لهذا أنهيت ما بيننا وأنت تتحدث عن الاحتواء، وكأنك عازم
على الانتقام!

أهذا ما أزعجك؟!

قلتُ لي يوماً: الحبُّ هو الاحتواء.. الحب هو الاهتمام.

قلتُ لي: سأبقى بجوارك!

فلم أرى أفعالك تناقض ما قلته لي؟!

كل ما أردته منك أن تواسيني، تزيح همي، وتكفكف دمعي
لكنك أريتني أشياء أخرى لم أعتدها من أحد قط.

— عليك الذهاب!

ناولتني الحقيبة، فدلقتُ إلى القطار وجلستُ على أحد المقاعد،
برهة ونهضتُ وتطلعتُ إليك من نافذة القطار.. فإذا بك
تبتعد!

لم؟!

أراك غير حزين لرحيلي، ربما تناسيتُ حُبنا وآمالنا، أو لعلك
لا تُريدني أن أرى حزنك، فأنزل من قطاري مُسرعة نحو حضنك!
جلستُ فوق مقعدي مرة أخرى أكفكف دمعتي، وأنا حائرة،
حزينة، شاردة، هائمة، أمعن التفكير في كل ذكرياتي معك، لعلي
أدرك ما ألمَّ بك.

هل كنا عاشقين حقا؟

أم كنا نمثل دور العاشقين في أحد الأفلام السينمائية؟
يصعب عليّ تصديق ما يحدث، يصعب عليّ قلبي التناغم
مع فراقك..

فلقد وضعتَ بداخلي شيئاً ليس من السهل التخلص منه..
وكل ما يمكنني فعله، هو التدثر بمعطف الانتظار،
ليتكَ تُدركَ هذا.. لعلكَ تُبدلَ معطفي بمعطف حبك!

حنينك الزائف

هجرتهُ وهو في الرابعة عشرة من عمره لتحيا مع الرجل الذي
اختارته ، ومن يومها قل تواصلهما ، واليوم أرسلتُ له تطلبُ
لقاءه ، وتقول له إنها سئمتُ هذا البعد وهذه المسافة الموجودة
بينهما ، فأرسل لها يقول :

— كم أمقت حنينك الزائف !

أمقت كلماتك البذيئة التي كانت تُحطم قلبي صباح كل يوم ،
أمقتُ تمجيدك المفتعل لي أمام الآخرين

تبدين وكأنك تُمجدينني وتُعظمينني لأنك تُحبينني ، والحقيقة
أنك لا تُمجدين ولا تُعظمين سوى نفسك !

تدعين أنكِ ربيتني على القيم والفضيلة.. والحقيقة أنكِ لم
تكثرثي أبداً بتربيتي !

كنتُ وحيداً.. حزيناً.. تعيساً

لم تسأليني أبداً عن حالي ، لمْ لمْ تكلفي نفسك عناء السؤال عن
سبب وحدتي وانطوائي؟!!

إن كنتِ تحبينني كما تدعين..

لمَ كنتِ دائماً تتهمينني ، وسريعا تعاقبينني.. قبل أن تسمعيني؟!
كيف الآن تستعجبين سخطي وحنقي وجز أسناني عندما أصغي
إليكِ وأنتِ ترشقينني بكلماتك القاسية قبل أن أتبادل الرشق معكِ
بكلمات أقسى؟

مطلوب مني أن أحبك؟!!

لمَ عليّ أن أفعل وأنا كلما استحضرتُ صورتكِ تنبعث أمامي كل
ذكرياتي معكِ بمرارتها، وقسوتها؟!!

ذكريات جميعها تبدأ بمشهد عينيكِ الجاحظة الغاضبة،
فتنبعث جراحی مع كل ذكرى.

كم حاولتُ أن أمزق ذكرياتي وأتناساها،

كم حاولتُ أن أبدأ معكِ صفحة جديدة ببيضاء..

لكنها لا تلبث أن تتلوث بقسوتكِ.

لمَ عليّ أن أفعل؟

هل لأنك حملتيني تسعة أشهر، أهذا فضلكِ عليّ كما
يدعون؟

لا، هذا إثمك الأول في حقي!

ما كنتُ أريد أن أولد لأتني لهذه الحياة الزائفة، وأرتطم
بعبثيتها!

لهذا لا أراه فضلاً يا أمي ، بل خطيئة !
لم أنجبتي نيني .. إن كنتِ تتمنين لو لم آتِ ؟

هل انتبهتِ الآن لخطئك ؟

.. لإثمك ؟

.. لجريمتك ؟ !

نعم ، إنجابك لي جريمة ..

إن كنتِ لن تحبيني ، لن تحترميني ، لن تُذيقيني الحنان .
لقد تعلمتُ الحسد وأنا أراقب أمهات الأطفال من حولي ،
وهم يملأون وجوه أطفالهم بالقبلات ، ويضمونهم في حضن عميق ،
فتتبدى السعادة فوق قسّمات هذه الأطفال .. سعادة لم أستشعرها
قط !

ما الفرق بينك وبينهم ؟

هل قبلتني يوماً ، هل ضممتني بين ذراعيك ؟

نعم !

كان هذا بعد أن تنتبهي لآثار ضربك لي ، عندما تسقط
عيناكِ صدفه على الأجزاء المتفرقة من جسدي المكتظة بالندوب .

نعم !

كان هذا شبيهه بأحضان الأمهات لأطفالهم .. لكنه كان زائفاً ..
مُفتعلاً ،

فلم يبعث بداخلي سعادة، ولم يشفع عندي لأغفر لك شيئاً.
لا يا أمي، كلما تذكرتك لا أرى سوى قسوتك.
أسف ليس بمقدوري أن أفتعل لك فضلاً أو ذكرى جميلة.
لهذا يا أمي إن وقفت يوماً في جنازتي فلا تذرفي دمعة واحدة
عليّ ..
لأنني ما كنت لأذرفها عليك...!!!

أوهام

أتاني وأنا واقفة بجوار صديقتي أمام قاعة المحاضرات، يطلب محاضرات الأسبوع المنصرم والذي غابه بسبب انشغاله ببعض الأعمال المهمة.

أخبرته بأنني سأجلبهم له غداً، فشكرني وعاد إلي صديقه الذي كان يقف بعيداً عنا ببضع خطوات.

وعندما أرف موعده المحاضرة، دلفتُ أنا وصديقتي إلى قاعة المحاضرات وجلسنا على أحد المقاعد، فدلف هو وصديقه وجلسا في مكانهما المعتاد.

أتاح لي مكاني رؤيته بوضوح، فأخذتُ أرمقه في شيء من الشرود، كان يعبث بهاتفه، قبل أن يميل برأسه ويهمس في أذن صديقه بشيء ما..

أخرجني من شرودي صوت صديقتي الهامس:

— انتبهني، فلقد حدق فيك الدكتور أكثر من مرة.

اعتدلتُ في مجلسي واستعدتُ انتباهي .

انتهت المحاضرة، فغادرنا القاعة، ووقفنا أنا وصديقتي نتحدث بجوار السلالم، فانتبهتُ له وهو يخرج مع صديقه، وخيل إليّ من ابتسامته أنه سيدنو مني ويحدثني..ربما يطلب رقم هاتفي!

لكنه مر من أمامي دون أن ينبس بكلمة!

ناديته..

فألتفت لي وارتقي تلك الدرجات التي كان قد نزلها في حين وقف صديقه ينتظره.

شعرتُ بحرارة وجنتي وأنا أطلب منه رقم هاتفه.

مد يديه نحو هاتفي الذي كنتُ قابضة عليه بيدي.

الرقم، فأعطيته إياه.

انشغل بتدوين رقم هاتفه، في حين زاغتُ عينيّ على صديقه من خلفه وهو يرمقني بنظرته الغريبة، وقد بدا أنه لم يُرّقه تصرفي هذا.

— تفضلي، لقد دونته باسمي.

التقطتُ هاتفي، فعاد هو لصديقه وابتعدا.

وبختني صديقتي في شيء من النقم والاستياء على تصرفي هذا..

— لقد تجاهلكِ فلم أوقفته؟

— كاد أن يطلب رقم هاتفي إلا أن الخجل منعه.

— لكنه لم يطلبه ، ما كان ينبغي لك أن تتصرفي بهذه الطريقة ،
ربما تخلقي في عقله صورة سيئة عنك .

اعتذرتُ لها عن تصرفي الطائش ، ولكن بدا أن اعتذاري لم
يُرضها ؛ فقد أخبرتني أنه ينبغي للفتاة أن تكون أكثر حياءً ،
وعندما انتبهتُ للحزن يعتلي وجهي ، اعتذرتُ وضمنني إليها
في محاولة لمواساتي ، فقبلتُ اعتذارها ومضينا عائدتين إلى منازلنا .

بدلتُ ملابسِي وجلستُ على حافة فراشي ، بينما ساورني شك
أن تصرفي بدا له غير لائق ، واجتاحني خوف أن أكون خلقتُ
صورة سيئة بعقله كما أخبرتني صديقتي ..

— سأدرك ذلك من صوته إذا اتصل بي .

مرت ساعات في انتظار اتصاله ، في حين كنتُ أقوم بأعمال
المنزل التقليدية ، سئمتُ الانتظار وبدأتُ أندم على تصرفي .. فما
حاجتي لرقم هاتفه إن كان لن يتصل بي؟!

ضربتُ جبيني براحة يدي :

يا لي من حمقاء ، إنه لا يعلم رقم هاتفي !

أسرعتُ نحو هاتفي واتصلتُ به ، وبينما كانت سماعه الهاتف
مُلتصقة بأذني أنتظر استجابته ، انتابني التوتر ، وازداد رجف قلبي
شيئاً فشيئاً ، وناكفني شعور بالندم وأنا ألوم نفسي على اتصالي ،
فلا أدري بأي كلمات سأحدثه وأي مُبرر سأخبره .

واطمئن قلبي عندما لم يرد، فعدتُ انشغل في أمور أخرى،
وغادرتُ غرفتي أتناول العشاء مع أسرتي.

عدتُ إلى غرفتي والتقطتُ هاتفي، فإذا بثلاث مكالمات منه لم
يتم الرد عليها، انتابني الارتباك، وجلستُ فوق فراشي مترددة،
ولكن لم ألبث حتى تجاسرتُ واتصلتُ به..

عاودتني تلك المشاعر المضطرب، فكدتُ أن ألغي اتصالي، إلا
أن صوته الدفيء فاجئني..

— من معي؟

أخبرته في شيء من التلعثم بأنه أنا، ولقد اتصلتُ به ليعلم
رقم هاتفي، فشكرني، وأضاف بعض الكلمات حول المحاضرات..

وعندما خيم الصمتُ علينا، شعرتُ بأنه يُريد إنهاء المكالمة،
فسألته إن كان يحتاج مني شيئاً آخر، فاستمهلني قائلاً:

— هل أنت مشغولة الآن؟

— لا!

— حسناً، هل يمكننا التحدث قليلاً؟

صمتُ برهة، افتعلتُ فيها التفكير في الأمر ثم أجبته:

— أجل، يمكننا.

مرت ساعات ونحن نتحدث في مواضيع عدة، وأفصح لي المزيد عن نفسه، وأفصحتُ أنا الأخرى، حتى أنهينا المكالمة بعد اتفاقنا على اللقاء غداً.

في الصباح دلفتُ من بوابة الجامعة، بينما أحدثه بالهاتف:

— أين أنتَ؟

وصف لي مكانه، فذهبتُ إليه، وعندما انتبه لي وأنا أدنو منه، نهض مرحباً بي قبل أن يطلب مني الجلوس، فجلستُ بجواره مع الحفاظ على مسافة بيننا، كما أخبرتني صديقتي! أعطيتُهُ دفتر مُحاضراتي، فشكرني، وأخذ يتصفحه هنيئاً، ومن ثم أخذنا نتبادل الحديث، وأخبرته أن لدي اختباراً تدريبياً غداً على الحاسب الآلي، أخشاه بشدة وينتابني القلق حياله.

— يمكنني مُعاونتك في هذا الأمر، إن سمحتَ لي، فلقد اجتزتُ هذا الاختبار أكثر من مرة.

— كيف؟

— نلتقي غداً في مكاننا هذا قبل الاختبار التدريبي بساعة، وسأشرح لكِ الأسئلة المهمة.

وافقتُ، واستأذنتُ منه للذهاب إلى مُحضراتي بعد أن أخبرني أنه لن يحضرها اليوم.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى نفس المكان، وجلستُ بجواره، ولكن تقلصت المسافة بيننا هذه المرة، حتى يمكنني الإصغاء وإدراك ما يشرحه لي على حاسبه المحمول، أخذ يُعيد شرح كل الأشياء التي كانت صعبة الفهم عليّ قبلاً.

أتى صديقه وناداه، فاستأذني وذهب إليه.

وقفا يتهامسان، في حين أخذتُ أعبث بحاسبه المحمول لكِ أتواري بعينيّ عن رامقات صديقه المعتادة، ولقد أيقنتُ هذه المرة أنه يعتقد فيّ شيئاً ما، ربما يعتقد أنني فتاة سيئة.

عاد مرة أخرى واعتذر عن تأخره، وجلس بجواري وأخذ يُكمل ما كان يشرحه، تطلعتُ إلى صديقه الذي ابتعد ووقف مع بعض الشباب يحدثهم، بينما كل برهة يعاود التحديق فيّ.. انتابني الخوف من تحديقه الذي كان يزداد شيئاً فشيئاً، ولكنني تجاهلته وعدتُ أتابع الشرح في اهتمام.

— انظري هذه هي أهم الأسئلة التي يحتمل أن تأتي لكِ.

أخذتُ أتابع أنامله وهي تُشير نحو الشاشة على بعض الأمور المهمة، ومن ثم سألني إن كان هناك شيء لم أفهمه بعد، لُعيده لي شرحه.

— لا، لقد فهمتُ كل ما أحтаجه.

أغلق حاسبه، ووضعه بعناية بداخل حقيبته، وأخذ يعبث بيده في أحد جيوب الحقيبة قبل أن يُخرج دفتر مُحاضراتي ويناولني إياه..

— تفضلي، لقد نسختُ نسخةً من المحاضرات، شكراً لكِ.

— على الرحب.

وضعتُ دفترتي بداخل حقيبتتي، واستأذنتُ منه مُبتسمةً،
وزهدتُ إلى اختباري.

في مساء ذلك اليوم، اتصلتُ به وأخبرته بأنني اجتزتُ
تدريبي بتقدير امتياز، وشكرته على معاونتي، وتحدثنا عن
بعض الأمور الخاصة بهذا التدريب، قبل أن يُفاجئني سؤاله:
— ولكن لم تأخرتِ في إخباري عن اجتيازك التدريب، لقد كنتُ
منتظراً اتصالك؟

— آسفةً، فلقد تسكعتُ مع صديقاتي قليلاً؛ لنشتري بعض
الأشياء.

— لا عليكِ.

تحدثنا قليلاً، ومن ثم أنهينا المكالمة.

ارتيمتُ على فراشي هانئةً، مبتسمةً، لقد فاجأني سؤاله حقاً،
لكنه أسعدني!

وقبل نومي، اتصلتُ بصديقتي وأخبرتها بآخر مكالمة معه،
فتمنتُ لي خيراً!

أعدتُ دائماً أن أتشارك مع أمي كل ما يحدث لي، وعندما أخبرتها عنه وعن معاونته لي، أثنتُ عليه، وأخبرتني بأنه ينبغي لي أن أدعوه لزيارتنا والغداء معنا، وقد راقبتُ لي فكرتها، فاتصلتُ به، واقترحتُ عليه الأمر، لكنه اعتذر قائلاً..

— رجاء إعفائي من هذا الأمر، فأنا أشعر بالخجل الشديد عندما أحضر في بيت أحدهم.

قبلتُ اعتذاره، واقترحتُ عليه أن يكون الغداء بالخارج، في أحد المطاعم القريبة من الجامعة:

— حسناً، موافق.

— لكن لدي شرطاً واحداً.

— ما هو؟

— أن يكون الغداء على حسابي.

صمتَ قليلاً بدا فيها متردداً ثم أخبرني بأنه موافق.

جلسنا معاً نتناول الطعام، بينما أحادثه بتفاصيل أكثر عني لم يكن يعلمها، أخبرته بالشخص الذي أحببته أعواماً ولكنني هجرته لأنني سئمتُ تدمره، وأنا نيتيه، وحب امتلاكه لي، وأخبرته أيضاً عن إخوتي وعن أبي وعمله، وأخرجت له صورة أبي من حقيبتني، فالتقطها وتأملها برهة قبل أن يُعديها إليّ فأضعها بحقيبتني، واستكمل حديثي الذي كان يُصغي له باهتمام، قبل أن أسأله:

— أَلن تُخبرني بتفاصيل أكثر عنك؟

أخذ يُحدثني عن بعض الأمور التي لم أعرفها عنه، في حين أصغي له مُبتسمة، قبل أن تتلاشى ابتسامتي عندما قال:

— ...، وأحبُّ فتاةً مُنذُ أعوام، أتمنى الزواج منها.

صعقتني كلماته، وشعرتُ باضطراب قلبي، ولقد بدا أنه انتبه لذلك، فقد توقف عن الحديث، فالتقطتُ حقيبتي وأخذتُ أعبثُ بها مُفتعلة أنني أتأكد من وجود شيء ما بها، بينما طلبتُ منه أن يستكمل حديثه، أخذ يصفها بأنها فتاة رقيقة، جميلة، يحبها بشدة، وأسهب في وصفه لها والثناء عليها.

وضعتُ حقيبتي جانبي مرة أخرى، واعتدلتُ أفتعل اهتمامي، كنتُ أحاول جاهدة أن أدفع بكلماته بعيداً، لكنها كانت تهوي فوقني كالأسهم فتخترق قلبي، لا أدري لم شعرتُ أن المكان بات مُعتماً عن ذي قبل، كدتُ أن أطلب منه التوقف عن الحديث، ولكنني تملكْتُ نفسي حتى انتهى وقلتُ:

— أتمنى لك حياة سعيدة معها، حاول ألا تغضبها، وتشبث بها جيداً.

— نعم أحاول ذلك.

بالتأكيد لم يدرك أن الفتاة عندما تنصح شخصاً، لا تكون كلماتها مجرد نُصح، بل ما تمنته هي معه..

خيّم علينا صمت طويل حتى انه خيل إليّ أن الوقت قد توقف، في حين أحاول جاهده أن أبدو طبيعية أمامه، أخذتُ أتطلع إلى ما حولي بينما يكاد عقلي ينفجر من صخب الأفكار التي تجتاحه

حقيقة بات من السهل عليّ تصديقها الآن..نسبية الزمان، كما
أخبرنا إينشتاين!

ولو كان الزمان غير نسبي، فلمَ أمضيتُ أعواماً أتألم في ثواني قليلة!
جذبني من شرودي بسؤاله:

— هل في نيتك أن تحبي مرة أخرى؟

حدقتُ فيه بعين جاحظة لبرهة في شيء من التعجب، بينما
أحاول أن أبحث عن المغزى الكامن في سؤاله، فإن كان يحب فتاة
حقاً، فلمَ يسألني مثل هذا السؤال!

— لا أدري..ربما، لكن لمَ تسأل؟

تنهد وهو يلتقط علبة سجائره، واستلَّ سيجارة منها وأشعلها
بعد أن استأذنتني، ومن ثم تأملني لبرهة، بدا فيها أنه متردد
عن البوح بشيء ما:

— حسناً، سأكون صريحاً معك، لمَ أكن أحتاج إلى دفتر
مُحاضراتك، وكانت هذه حجة للتقرب منك.

فازداد تعجبي وهو يضيف سؤاله:

— أتتذكرين صديقي، الذي يكون برفقتي دائماً؟

— نعم، أتذكره!

— إنه يحبك، وهو من طلب مني التقرب منك.

وأخذ يصفه لي على أنه شخص طيب القلب، وصادق، و...!

— لقد تمنى أن يُفصح لك عن حبه بنفسه ، لكن لم يكن بمقدوره فعلها، وما فعلته كله كان من أجله ، أتمنى أن تسمح لي بلقائك ، لتتعرفي عليه أكثر.

شعرت وكأن الدماء تجمدت بداخلي ، وأحجمت عن الرد على كلماته القاسية ، وحقيقته المخزية ، وخيل إلي أنني أنهض وأصفعه على وجهه ، وندمت بعدئذ أنني لم أفعلها ، ربما كنت أرحت ما بداخلي..

— لم أنت صامته؟

— في الحقيقة لا أريد الخوض في علاقة جديدة ، لدي مستقبل أهتم به أولاً.

— قابليه قبل أن تحكمني عليه ربما يروق لك الأمر.

— آسفة لا أرغب في ذلك.

خيم علينا الصمت ، وبعد دقيقة أخبرته بأنه يجب علي العودة ، فنهض عازماً على إبصالي.

أوصلني إلي ناصية الطريق ، وطلب مني أن أسمح له بإبصالي إلى الحافلة ، لكنني رفضت ، فشكرني على الغداء واستدار ليبتعد.

سالت دموعي وأنا أتأمله يبتعد ، ثم استدرت وأخذت أسير في الاتجاه المعاكس له ، ويدي تكفكف الدموع التي تذرف بلا انقطاع.

جلست فوق أحد مقاعد الحافلة ، وأخذت أراقب الطريق عبر النافذة الزجاجية بعين دامعة وأنا أتساءل..

ما هذا الذي حدث؟

أكنت مخطئة، كنت أظن أنه يكن بداخله مشاعر نحوي،
كنت أظن أن...!

ظلت الأسئلة تجول في ذهني حتى أنني كدتُ أن أصرخ من
كلماته التي كانت تتردد في ذهني.

كم أتمنى فقدان ذاكرتي،

لعلها تأخذ آلامي معها!

هُنِيهَةً، وواسيتُ نفسي قائلة:

من الجيد أنني لم أحبه،

نعم.. لا أحبه، إنني أمقته بشدة!

أسدلتُ جفنيّ، وخبأتُ وجهي في كفيّ، ومكثتُ وقتاً بدا
طويلاً، ومن ثم استفتقتُ ومررتُ بمنديلي الورقي على عينيّ
كلتيهما قبل أن أكوره في يدي بقوة وألقي به من نافذة الحافلة.

دلفتُ إلى منزلي، فقابلتني أمي باسمه، إلا أنها عندما تأملتني
لبرهة تلاشتُ ابتسامتها، وسألتني:

— ما بكِ يا حبيبتي؟

فارتيمتُ بين ذراعيها أبكي، وأقص عليها ما حدث!

أسفل أنغام المطر

أخذتُ أرمق قطرات الأمطار وهي تنزلق فوق الحائط الزجاجي المطل على الطريق، بينما أنا جالس فوق مقعدي في زاوية المطعم ذات الضوء الخافت، أستمع إلى أنغام الموسيقى السابحة حولي، تذكرتُ ابتسامتها وصوتها العذب عندما أخبرتني بأنها موافقة على دعوتي للعشاء معاً.

تطلعتُ إلى ساعتني ومن ثم شغلتُ نفسي في ترتيب الزهور الموجودة فوق الطاولة، أزحتها قليلاً حتى يتسنى لي رؤيتها عندما تأتي، ومن ثم عاودتُ النظر خارج الزجاج أراقب الأمطار وهي تهوي وترتطم بالأرض.

وبعد هنيئة، توقفت عربة أجرة أمام باب المطعم، ونزلتُ فتاة منها، أخذتُ تعبت بحقيبتها لبرهة، قبل أن تنحني وتناول السائق بعض النقود، دققتُ النظر إليها وهي تُغلق حقيبتها فتأكدتُ أنها هي، أسرعتُ من خطواتها ودلفت من باب المطعم تجوب بعينها بحثاً عني قبل أن تستقر عيناها عليّ وأنا أنهض من فوق مقعدي وأدنو منها.

التقطتُ يديها ووضعتُ قبلتي على أصابعها، وأنا أبدي
سعادتي بقدميها.

قرّبت لها المقعد المواجه لمقعدني فجلست عليه، وجلستُ
أنا أمامها، خيّم علينا الصمتُ هُنيئَةً تبادلنا فيها النظرات
والابتسامات، ومن ثم بادرتها بالحديث قائلاً:

— يروق لي فستانك.

فقلتُ مُبتسمة:

— شكراً.

— انتقي شيئاً لتأكله.

التقطت القائمة الموضوعية أمامها، وأخذتُ تتطلع إليها،
فالتقطتُ أنا الآخر القائمة الموضوعية أمامي أفعلتُ قراءتي بينما
أتأملها خلصة، أتأمل شعرها المُسدل على كتفيها وقسمات
وجهها، وأنا أتساءل إن كان الاحمرار الذي يعتلي وجنتيها من
فعل الخجل؟!!

أغلقتُ قائمتها ووضعتها في هدوء على الطاولة مرة أخرى،
وأخبرتني بما انتقته لنفسها، فأغلقتُ قائمتي ووضعتها أمامي،
وأخبرتني أنني أفضل تناول ما انتقته هي فإزدادت ابتسامتها إشراقاً.
أومأتُ للنادل الذي كان يقف قريباً منا، وأخبرته بمطلبنا،
فذهب ليحلبه، وأثناء ذلك أخذتُ أسألها عن حالها، وأتبادل
معها بعض الحديث.

لم يمكث النادل حتى أتى ووضع الأطباق فوق الطاولة.

اكتفينا بتبادل النظرات والابتسامات أثناء تناولنا الطعام، وبعد انتهائنا طلبتُ من النادل الذي كان يُلملم الأطباق أن يُحضر لنا مشروباً ساخناً، فأحضره سريعاً.

أخذتُ تخبرني عن سعادتها من انتهاء لوحتها الأخيرة التي كانت ترسمها منذ أكثر من شهر:

— يجب أن تطلع عليها.

— بالطبع سأفعل.

خيّم علينا الصمت قليلاً، ومن ثم أخبرتني بأنها تتمنى لو نذهب لمكان آخر، فوافقتها الرأي، فانتقيتُ هي إحدى الحدايق العامة، فغادرنا المطعم واستقللنا عربة أجرة لتوصلنا إليها.

جلسنا فوق تلك الأريكة التي انتقيناها عندما كنا نبحث عن واحدة لم تبتل من الأمطار، وحين رافعت رأسي قليلاً أتطلع إلى النجوم، سألتني:

— هل تُحبهم؟

التفتُ برأسي إليها مُتسائلاً:

— من؟

— النجوم.

ابتسمتُ لها وعدتُ أنتطلع إليهنّ وأنا أجيبها:

— بالتأكيد أحبهم، تروق لي تلك الأشكال التي معاً.

— نعم، إنها جميلة.

ثم التفتُ لها وقلتُ مازحاً:

— كنتُ أظن قبلاً أن النجوم بالسماء فقط، لم أكن أدري أنه يوجد واحدة منهن تجلس الآن بجانبني!

ابتسمتُ وبدا أنها تعتصر عقلها في محاولة لإيجاد كلمات مناسبة ترد عليّ بها، لكنها لم تنبس بكلمة، مما جعلني أعاود النظر إلى السماء بينما أقول بغية إخراجها من ارتباكها:

— من الجيد أن الغيوم قد انقشعت عن هذا الجزء من السماء.

— لمَ؟

— هل تحبين أن أقص عليك قصة قصيرة؟

— بالتأكيد!

— كانت هناك فتاة شديدة الجمال تُدعى (كاليستو)، مما جعل الإلهة (جونو) تسخط عليها وتحولها إلى دب ضخم، فهرعتُ (كاليستو) إلى الغابة لتعيش بها بعدما أدركتُ أنه إن وجدها أحد على حالتها الجديدة سيقتلها، وكان لـ(كاليستو) ابن يتجول من وقت لآخر في الغابة بهدف الصيد، فرأته (كاليستو)، ومع أنها دب إلا أنها نسيّت ذلك وأخذتُ تدنو من ابنها وهي تسير على قدميها الخلفية مُترنحة في محاولة

لمعانقته ، فامتلاً قلبه بالخوف والفرع ، وأخرج رمحه وكاد أن يغرسه في باطن أمه ، إلا أن الإله (جوبيتر) الذي كان يراقبهما من السماء أحزنه المشهد ، وخشَى أن يَقْتُل الابن أمه فخطفهما من الأرض وحولهما إلى نجوم في السماء.

التفتُ لها برأسي وهي تُصغي في شغف ، فأمسكتُ كفها الأيسر وأشرتُ بإصبعها نحو السماء وأنا أضيف :

— لهذا سميت هذه الكوكبة بالدب الأكبر.. إشارة إلى الأم ، وهذه بالدب الأصغر.. إشارة إلى الابن.

قلتها وتركتُ كفها ، فتأملتُ النجوم منبهرة قبل أن تعاود النظر لي مُبتسمة وهي تقول :

— أنتَ تحُبُّ الأساطير اليونانية !

— أجل ، أليست جميلة؟

— إنها جميلة جداً.

صمتتُ قليلاً ثم سألتني :

— هل لديك المزيد من القصص حول النجوم؟

— بالتأكيد لدي ، ما رأيك أن أقص عليكِ البعض منها بينما أقوم بإيصالك إلى منزلك؟

— موافقة ، لكن أفضل أن نذهب سيراً على الأقدام!

— حسناً.

سرنا معاً في طريق طويل، بينما أقص عليها العديد من قصص الأساطير اليونانية، وكلما انتهيتُ من واحدة لا تلبث أن تطلب أن أبدأ في واحدة جديدة، كان الطريق قد فرغ تماماً من البشر، وكان هادئاً، ساكناً، بلا أي حركة، سوى حركة قط صغير كان يحوم حول صندوق قمامة باحثاً عن شيء يأكله، وكان قد خيم علينا الصمتُ قليلاً، في حين أخذتُ أحاول أن أزيد من جسارتي، وأخبرها بكلمات الحب التي أحجمت عن الخروج منذ بداية لقائنا، فلقد دعوتها للعشاء لأخبرها بحبي لها، حبها الذي اجتاحني منذ رأيتهَا أول مرة..

قبلاً لم أكن أؤمن أن هناك حباً من النظرة الأولى.

وبغته، هوت الأمطار، فأشرتُ بإصبعي نحو مكان لنلجأ إليه ونختبئ وأنا أقول:

— يمكننا الاختباء هناك في هذا المكان لنتفادي المطر.

— لا يمكنني الاختباء من قطرات المطر، فكما تُحب أنتَ النجوم، أحبُّ أنا المطر.

قلتُ لها وقد اعتلى وجهي بعض الخجل:

— لقد كنتُ أخشى أن تبتل ملابسك، لكن أنا أيضاً أحب المطر.

— لا عليك، كنتُ أمارحك.

أكملتُ طريقي بجانبها صامتاً أراقب الأمطار وهي تهوي وترتطم بالأرض.. قالتُ:

— هل تعلم ماذا تمنيتُ دائماً؟

سألتها في اهتمام:

— ماذا؟

— ألن تسخر مني؟

— لا، لن أفعل.

— كنتُ أتمنى دائماً أن أبسط ذراعيّ وأنا أركض أسفل الأمطار
رافعة رأسي، أستشعر قطرات المطر وهي تهوي على وجهي
بينما يلاحقني أحدهم.

ابتسمتُ لها وأنا أقول:

— اركضي.

— ماذا؟

— اركضي.

تطلعتُ لي برهة متفاجئة، ومن ثم أخذت تركض وهي تبسط
ذراعيها، وركضتُ أنا من خلفها ألاحقها، وعندما كدتُ أن
أمسك بها، أخذت تصرخ وتقهقه بصوت عالٍ وهي تزيد من
سرعتها، سمحتُ لها بأن تسبقني قليلاً ومن ثم بلغت وأحكمت
قبضتي على كتفها وأجبرتها على الوقوف والاستدارة إليّ، قبل
أن أنحني وأطوق فخذها بذراعيّ وأرفعها عاليًا وأركض بها بضع
أمتار وهي تصرخ خشية أن نهوي على الأرض معاً.

توقفتُ وأخذتُ أنزلها ببطء، وعندما استقرت قدمها على الأرض، استقيمتُ مرة أخرى مُتأملًا عينيها، كانت تُطيل النظر إليَّ بعينيها الصغيرتين، قبل أن تتلفت حولها لتتأكد من خلو المكان من المارة، ومن ثم طوقتُ عنقي بذراعيها وهي تقول:

— شكرا، حققتَ لي أمنيّتي.

قالتها قبل أن تُفاجئني يداها وهي تضغط على مؤخرة رأسي فتجبرني على الميل نحو وجهها فتلتقط شفتيّ بين شفتيها وتعنصرهما في قبلة طويلة تجمد من أجلها الزمن، وتجمدت معه خلاياي!

تركتُ شفتيّ بعد وقت لم يكن بمقدوري أن أحسبه، وأرختُ ذراعيها من حول عنقي وهي تنظر إليَّ باسمه قبل أن تستدير وتستكمل السير، دون أن تنبس بكلمة، بينما مكثتُ أنا مكاني واجمًا، أرمقها وهي تتباعد عني بخطوات.

أسرعتُ من خطواتي حتى ألحق بها، وعندما بلغت سرّتها بجانبها وأنا أتجنب إضافة أي كلمة خشية أن يزول رحيقها من شفّتي.

كانتُ قد توقفتُ الأمطار عندما بلغنا منزلها، فمكثنا أمام بوابة السور الحديدية نتطلع إلى بعضنا، وبدا أن كلاً منا ينتظر حديث الآخر، وبعد هنيهة، قالت:

— هل تريد أن ترى لوحتي، وتحسني فنجان شاي؟

— أجل بالتأكيد.

دلفتُ معها إلى المنزل، وطلبتُ مني المكوث على أحد المقاعد لحين عودتها بعد أن عاونتني على نزع الجاكت المبلل عني وطوته فوق ذراعها ودلفت إلى إحدى الغرف بغية تجفيفه.

أخذتُ أتطلع إلى اللوحات المعلقة على الحوائط من حولي، كان أغلبها لوحات مشهورة، وانتبهتُ لوجود نسخة مصغرة من تمثالي المفضل (داود)، فنهضتُ من فوق المقعد ودنوتُ منه أتأمله.. هُنَيْهَةً، وبعدئذ رفعتُ رأسي قليلاً أتطلع إلى اللوحة التي تعلوه على الحائط، كانت لرجل في أواخر العشرينات، ذو وجه قوقازي رزين وعينين كبيرتين تتسمان بنظرة صارمة، وبدا أن هذه اللوحة إحدى لوحاتها، وكدتُ أن أسألها عن الرجل الموجود بها عندما توجست أذني صوت أقدامها وهي تدنو مني، إلا أنني عندما التفتُ برأسي ورأيتها قد بدلت ملابسها وارتدت قميص نوم قصير انتبهتُ لحافته من خلف الروب الأبيض الشفاف، أحجمت الكلمات عن الخروج!

مرتُ من خلفي وقبضتُ على مقبض الباب الذي كان بجانبني وفتحته وهي تقول:

— إنها غرفة الرسم خاصتي.

دلفتُ إلى الغرفة بينما كانت لا تزال واقفة مكانها وممسكة بمقبض الباب، كانت الغرفة خاوية من أي أثاث إلا من مقعد خشبي في منتصفها وأمامه مسند للوحات معلق عليه لوحة، وكانت الحوائط الأربعة مُكتظة باللوحات، تركتُ

مقبض الباب واقتربت مني وأخبرتني بأنهنّ جميعاً من رسمها، أخذتُ أمر بعيني سريعاً عليهنّ قبل أن تشير بإصبعها نحو اللوحة المعلقة على مسند اللوحات وهي تقول:

— هذه هي اللوحة التي حدثتك عنها.

دنوتُ من اللوحة وأخذتُ أتأملها هُنيئةً، ثم أخبرتها كم هي جميلة ويروق لي منظر هذه السماء الممتزجة بوجه تلك الفتاة الحزينة، صمت قليلاً وأضفت:

— حقاً رائعة.

— إنني سعيدة أنها راقَتْ لك.

أمضينا بعض الوقت نتحدث عن اللوحة وتفاصيلها، ومغزاها، ثم غادرنا الغرفة وجلستُ فوق الأريكة أنتظرها ريثما تعود.

أتتُ ومعها فنجانين من الشاي وبعد أن وضعتُ الفنجانين على المنضدة الزجاجية التي كانت أمامي، جلستُ فوق مقعد وثير على شمال الأريكة ووضعتُ فخذي الأيمن فوق الأيسر فتدلى طرفا الرُوب فظهر الجزء الأسفل من قميص نومها الأبيض الذي كان يُخبئ نصف فخذي مما جعلها تشده إلى الأمام قليلاً لتخبئ ما استطاعت قبل أن ترفع عليه أحد أطراف الرُوب!

كان للمبسها الجديد إيقاع خاص بداخلي، فقد أتاح لي الانتباه لجمال ثدييها المنتفخين!

في الحقيقة لقد أتاح لي أن أمر بعيني على كامل جسدها
مُتأملاً كل مفاتنها!

كنتُ واجماً شاردًا، أتساءل عما في مقدوري فعله لو كان هذا
الجسد بين ذراعي!

ولكنني ابتعدتُ ببصري سريعاً، عندما انتبهتُ لعينيها تحمق
في مُسائلة!

وأظن أنها أدركت، فيما أفكر!

برهة، ووجدتها قد نهضت والتقطت فنجان الشاي من فوق
المنضدة ولفت من حولها وجلست بجانبني حد الالتصاق ومدته
نحوي، فالتقطه وأنا أقول:

— شكراً.

قُلْتُها وأنا أشعر بخفقان قلبي يزداد، في حين أستشعر حرارة
فخذها الملتصق بفخذي!

— ارتشف الشاي حتى لا يبرد.

ارتشفتُ رشفة وأنا أفتعل انشغال عيني بلوحة (صندوق
باندورا) المعلقة أمامي على الحائط، بينما لا تزال حرارة فخذها
تخالجني!

مالتُ برأسها وأسكنته على كتفي الأيمن، وصمتت برهة قبل
أن تسألني:

— هل تروق لك؟

— باندورا؟.. بالطبع تروق لي.

وضعتُ الفنجان على المنضدة في هدوء، فقد ازداد ارتباكِي إلى حد فقدان تركيزي كاملاً، وازداد ارتباكُ أكثر عندما دستُ ذرعها الأيسر خلف ظهري فبدا وكأنها تحتضني!

وبعد برهة وبكف ذرعها الآخر، تحسست خصري، قبل أن تفك أحد أزرار قميصي وتدس أصابعها داخله، فتتسس حرارة بطني، وكانت تنبعث رائحة زكية من شعرها الذي التصق بشفتي وأنفي. رفعتُ رأسها لي ترمقني بنظرة بريئة، جميلة، مفعمة بالشوق والشبق!

وضعتُ قبلة خفيفة فوق ذقني وواحدة أخرى على شفتي، أغمضتُ عينيها وهي تدنو بشفتيها لتضع الثالثة، فأرخيت قبضة شفتي مما أتاح لها أن تلتقط السفلي وتعتصرها، حقا لست أدري من منا الذي كان يعتصر شفتي الآخر!

ولكن بعد وقت ليس بقليل اعتدلتُ ونهضتُ واجتذبتني من ساعدي بقوة، فنهضتُ ودلفتُ معها إلى إحدى الغرف، و...!

لا أدري كم مكثتُ بين ذراعيها وما حدث، فما حدث بعد ذلك لم يكن بمقدور عقلي تدوينه...!!!

استفقتُ من نومي، واعتدلتُ مستنداً بذراعي على الوسادة، تساءلتُ في الوهلة الأولى، أين أنا؟، ولكنني لم ألبث حتى تذكرتُ كل ما حدث أمس، أخذتُ أجوب بعيني متطلعاً إلى كل شيء

حولي ، فما حدث أمس شغلني عن التطلع إلى محتويات الغرفة
أو التفكير حتى .

استقرت عيني على دفتر رسم فوق الفراش .. بجانبى ، فالتقطته
وتأملت اللوحة المرسومة :

— إنها صورتي !

يبدو أنها رسمتني وأنا غارق في نومي ورأسي يتوسد الوسادة
بينما ذراعي الأيمن مختبئ خلفها .

وضعتُ الدفتر جانبي مرة أخرى ، قبل أن أنتبه إلى ملابسي
وقد وضعتُ بعناية على حافة الفراش ، فنهضتُ عارياً ، وأخذتُ
أرتديها .

كدتُ أن أغادر الغرفة إلا أنني عندما بلغتُ الباب تراجعْتُ
خطوتين إلى الخلف ، فلقد انتبهتُ لبرواز كبير موضوع بإهمال
بجوار الحائط ، فدنوتُ منه والتقطته أتأمل الصورة التي به ،
كانتُ صورة لنفس الشخص الذي رأيتُه أمس في اللوحة ..

— نعم إنه هو !

وبدا لي أنه أخوها ، فقد كان هناك تشابه واضح بينهما .
غادرتُ الغرفة أبحث عنها ، فتوجستُ صوت ارتطام أطباق مكتوم
وخرير ماء ، فتنبعتُ صوت الخريبر ، حتى بلغتُ غرفة بباب
مفتوح على مصراعيه ، دلفتُ منه ، فإذا بها واقفة وممسكة بمقلاة
بيديها تُطهي فيها البيض ، توقفتُ وملتُ بجانبى مستندا الحائط ،
فانتبهتُ لي وقالت وقد ارتسم على وجهها ابتسامه هادئة ..

- صباح الخير.
- صباح النور.
- هل نمتَ جيداً؟
- أجل، لكن أظنك لم تنمي جيداً!
- لمَ؟
- اللوحة.. الملابس.. الطهي!
- لقد اعتادتُ على الاستيقاظ مبكراً كل يوم..بمناسبة اللوحة..
- هل راقِتْ لك؟
- دنوت منها وأحطها بذراعيّ ووضعتُ قبّله أسفل خدها الأيسر
وأنا أقول..
- بالطبع.
- فالتفتُ برأسها ووضعتُ واحده على شفّتيّ، وبينما لا أزال
أطوقها بذراعيّ، أضفتُ..
- خطفتيني من وجودي أمس، فنسيّتُ أن أخبرك أنني أحبك.
- أشرفتُ قسماتها ومن ثم قالت في اهتمام..
- أنا أيضاً نسيّتُ أن أخبرك بشيء مهم!
- كنتُ قد أرخيتُ ذراعيّ عنها وعدتُ للخلف مُستنداً بظهري
الحائط، بينما أضفتُ..
- في الحقيقة لقد تعمدتُ ألا أخبرك حتى لا أعكر صفوك.

— وما هو؟

— إنني متزوجة.

صعقتُ من عبرتها وخيل إليَّ أن أذني قد خدعتني، ولكن تسمرتُ مكاني واجماً، أتطلع إليها بعين جاحظة وهي تضيف..

— أننا على وشك الانفصال، أو نكاد نكون انفصلنا، فهو لا يقطن معي منذ فترة طويلة، وقريباً سننتهي من إجراءات الطلاق، أدري أنك منزعج أنني لم أخبرك، لكن كما قلتُ لك لم أخبرك لكيلا أعكر صفوك.

مكثتُ برهة تنتظر مني رداً، وعندما وجدتني قد آثرتُ الصمت، أضافت..

— إنه الشخص الذي كنتَ تتطلع إلى لوحته أمس.

مكثتُ هنيئَةً، أتطلع إليها واجماً.. ودون أن أنبس بكلمة غادرتُ المطبخ ودلفتُ سريعا إلى الغرفة أرتدي الجاكت الذي لم أكن قد ارتدائته بعد، فدلفتُ خلفي وأخذتُ تحدثني وهي تحوم حولي..

— صدقني، خشيتُ أن أزعجك.. لقد أخبرتك بالأمر على أي حال!

أبعدتها بكفيَّ عندما وقفتُ في مدخل باب الغرفة تمنعني من مغادرتها.. توجهتُ إلى باب المنزل وأخذتُ انتعل حذائي..

— هل كل هذا لأنني أخبرتك بأني متزوجة، قلتُ لك لقد انفصلنا، لم يتبق سوى الإجراءات القانونية.

كنتُ قد انتعلتُ حذائي فقبضتُ على مقبض الباب وفتحته ،
وكدتُ أن أغادر إلا أنها قبضتُ بقوة فوق ساعدي واجتذبتني
وهي تقول..

— أنتظر هنا وأجبني ، لمَ كل هذا السخط والتذمر؟

فأرخيتُ قبضتي من فوق مقبض الباب وأنا أجز أسناني ،
واجتذبتُ ذراعي من قبضتها بقوة ، وأنا أصيح فيها قائلاً..

— لأنك جعلتيني خائن ، وأنا لم أحن أحد من قبل.. كان يجب
عليك أن تنفصلي تماماً عن زوجك ، قبل أن تُقيمي علاقة مع
أحدهم .

قلتها وأنا أرشقها بنظرة استحقار ، ثم غادرتُ مسرعاً ، غير
مُكترث بصوتها الذي يناديني باسمي من الخلف .

غادرتُ منزلها وأنا عازم ألا أعود إليه مرة أخرى !

في عربة الأجرة ، أخذتُ تحاول الاتصال بي ، فأغلقتُ هاتفي..
وعندما وصلتُ إلى منزلي وأعدتُ تشغيل هاتفي ، وجدتُ العديد من
الرسائل التي أرسلتها في محاولة لإرضائي ، تجاهلتهم جميعاً إلا
واحدة قالتُ فيها..

«ألا يشفع عندك ، كل ما حدث بيننا؟»

فأجبتها برسالتي..

«لا..لا يشفع عندي أي شيء»

ولم تزعجني بعدئذ بمثل هذه الرسائل لأنني بدلت رقم هاتفي.

قابلتها صدفه أكثر من مره في أماكن عدة، ودائما كانت تدنو مني وتحاول محادثتي، ولكنني كنت أتجاهلها وابتعد.

لازمني شعور بعدئذ بأنني كنت قاسي عليها، إلا أنني امتنعت عن الاستسلام لهذا الشعور، ومع أنني أحببتها حقا، إلا أنني تحملت على نفسي من أجل مبادئتي..

ومن حسن حظي أنها لم تكن تعلم عنوان منزلي وتجنبت الظهور في تلك الأماكن التي تذهب إليها.

من المؤسف أن يختلف قلبي وعقلي،

كل منهما يريد شيئا آخر!

بعد عدة أسابيع وبعد انتهائي من العمل تجولت في الطرقات حتى بلغت بائع الجرائد الذي تعودت أن أشتري منه جريدة قبل أن أعود إلى منزلي، التقطت إحدى الجرائد بيدي وناولته ثمنها، ووقفت أتصفحها فإذا بي أقرأ هذا العنوان..

«انتحار الفنانة...»

وأثبت الطب الشرعي وجود جنين في رحمها!

تسمرتُ مكاني واجماً وقت طويل، ومن ثم استقلَّيتُ عربية
أجره وغصتُ في المقعد الخلفي وأنا أرخي ربطة عنقي.

توقفت بي العربية أمام منزلي، فنزلتُ منها مسرعاً بعين دامعة
وارتقيتُ السلالم مترنحاً، قبل أن أدلف إلى الشقة وألقي بحقيبتني
أرضاً، وأرتمي على أقرب مقعد.

مكثتُ مكاني ساعات، أفكر، وأفكر، وأفكر.. وأبكي!

قبل أن أنهض من فوق مقعدي وأدلف إلى غرفة مكتبي،
والتقطتُ رزمة الأوراق هذه وأضعها على مكتبي وألتقط قلمي
وأجلس على مقعدي عازماً أن أكتب قصتي معها، كاعتراف مني
عن جريمتي!

جريمة قتلي لطفلي وحبيبتي!

بعد أن قررتُ الانتحار...!!!

كبرياء الحب

لَمْ كُلْ هَذَا السُّخْطَ الَّذِي يَعْتَلِي وَجْهَكَ ، كَلِمَا تَقَابَلْنَا صَدْفَهُ فِي
إِحْدَى الطَّرِيقَاتِ؟

لَمْ لَمْ تُعْدي تَسْتَوْفِينِي وَتَسْتَمْهَلِينِي ، لِتَصَافِحِينِي وَتَرْحَبِي بِي
بِوَجْهِهِ بِاسْمِ مِثْلَمَا كُنْتَ تَفْعَلِينَ مِنْ قَبْلِ؟

لَمْ بَاتَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْكَ أَنْ تَمْرِي بِجَانِي مَكْتَفِيهِ بِرَشْقِي بِتِلْكَ
النَّظْرَةِ النَّاقِمَةِ قَبْلَ أَنْ تُشِيحِي بِوَجْهِكَ بَعِيدًا لِتُرْمَقِي شَيْئًا آخَرَ
كِي تَظْهَرِي لِي عَدَمَ اكْتِرَائِكَ؟

هَلْ هَذَا لِأَجْلِ أخطاءِ اقْتَرَفْتَهَا وَليْسَ بِمَقْدُورِكَ غَفْرَانِهَا ، أَمْ مِنْ
أَجْلِ خَطَاكَ الْوَحِيدِ الَّذِي لَازَلْتَ لَا تَدْرِكِيهِ؟

نَعَمْ أَخْبَرْتُكَ يَوْمًا بِأَنِّي أَهْتَمُّ بِإِحْدَاهُنَّ ، وَالتِّي كُنْتُ تَمَقْتِيهَا بِشِدَّةٍ وَلَا
تَطِيقِي سَمَاعَ اسْمِهَا ، وَحَاوَلْتُ كَثِيرًا أَنْ تُبْعِدِينِي عَنْهَا ، وَكُنْتُ تُسَأَلِينِي..

— بِرَبِّكَ ، لَمْ تَلْكَ الْفَتَاةُ بِالذَّاتِ ، يَوْجِدُ أُخْرِيَّاتٍ أَكْثَرَ جَمَالًا
وَأكْثَرَ أَنَاقَةً؟

لَطَالَمَا أَدْرَكْتُ دَائِمًا أَنَّ مَحَاوَلَاتِكَ تِلْكَ كَانَتْ لِتُفْرَغِي قَلْبِي
تَمْهِيدًا لِلْوَلُوجِ بِهِ !

مع أن قلبي كان بالفعل فارغاً ينتظرك.. ولكنك لم تفعلي!
فكبريائك أبى أن يُتيح لك الإفصاح عن حبي الكامن بقلبك!
فضلتِ الكتمان!

ليتكِ كنتِ تدركين أن القلوب إن خالطها الكتمان.. تمزقتُ.
والنفوس إن شوهها الكبرياء.. تددتُ.
لكان حالنا أفضل!

مكثتُ أنتظر حبك الذي لا يأتي، حتى وجدتني أصطف بين
المدعوين لحفل خطبتكِ!
دنوتُ وصافحتهُ مُهنئاً..

فضلتِ أن تستبدليني على أن تفصحي بما داخلكِ!
هل يسهل عليكِ أن ترتمي بين ذراع رجل آخر على أن تبوحي
بحبكِ لشخص تخاليه مُذنباً؟
وصافحتكِ أنتِ الأخرى وأنا أفعلتِ ابتسامتي..

وبدا أنكِ قرأتِ سُؤالي عندما تأملتُ عينيكِ.. بالطبع لم تجيبي!
وحتى بعد عودتي إلى مقعدي وانتباهي لتحديقك الطويل في..
لم تُجيبي!

تواريتِ بنظركِ بعيداً، وانشغلتِ بعددٍ بتقبيل المهنئات،
فنهضتُ وغادرتُ دون أن ترينني، فقد بات واضحاً أنه لا جدوى
من مكوثي، وانتظاري.

فلم يعد يحق لي الانتظار!

أتناساك..

فتخبرني إحداهن أنك كنت تحبيني.. تعشقينني!

لكنك لا يمكنكِ التغاضي عن أفعالي!

إن كنتِ أحببتيني حقاً، فلمَ لم تخبريني.. لمَ لم تلمحي بالأمر حتى؟

لأنكِ لا يمكنكِ التغاضي عن أفعالي حقاً؟

أم منعك كبريائك؟

كل ما أردته منك أن تصغي إلى أقوالي، لعلك تدركين أفعالي.

إنه كبريائك يا عزيزتي..

إنه كبرياء حبك الذي حرمني من أن أضمك إلى صدري.. ليست

أفعالي!

لست أنا المذنب كما تظنين.. بل أنت!

والآن تحاولي التقرب برسائلك بعد أن تلاشى حبي!

رجاء..

لا تلممي أجزاء قلبي المحطم، حتى لا تجرحي أصابعك!

معملاً!

كنتُ أظنُّ أن من تَجَرَّع من كأسِ الألمِ ،

لا يجد بهِ نحو غيرِه ..

حتى أثبتتُ أني العكسُ !

دموع التماسيح..!

- أيقظني صوتها من نومي..
- سأتي اليوم، هل ستنتظرنني؟
- بالطبع، سأكون موجودًا في موعد وصول القطار.
- أنهيتُ معها المكالمة، ونهضتُ من فوق فراشي أرتدي ملابسِي
تأهباً للقاء.

- تأخرتُ عن مواعيدي دقائق بسبب زحمة المواصلات، فنزلتُ
من عربة الأجرة وزدتُ من سرعة خطواتي..
- دلفتُ من بوابة محطة القطار، ونزلتُ السلالم وعينان تجوبات
بحثاً عنها، فإذا بها قد اصطفتُ بجانب سيدتين على أريكة
الانتظار. دنوتُ منها وأنا أراقبها تعبتُ بهاتفها، قبل أن تنتبه
إليَّ فتنهض لاستقبالي.. في ترحيب حار.
- أعتذر تأخرتُ بسبب...
- قاطعتني قائلهة:

— لا عليك، لم أنتظر سوى دقائق.

— حسنا، دعينا نغادر المحطة.

أخبرتني بأن قدميها تؤلمها لتعثرها في أحد الأحجار، فحملتُ عنها حقيبتها، وارتقينا السلالم وهي تستند إلى ذراعي.

وأمام بوابة المحطة، أخذتُ أجوب بعيني بحثا عن أريكة فارغة، فإذا بها تُشير إلى واحدة..

أجلستها على الأريكة، وجثوتُ أمامها وانتزعتُ فردة حذاءها عن قدمها التي تؤلمها وأخذتُ أدلكها..

بينما تُحيطني إباءت وهمسات المارة، وضحكات مكتومة من بعض الفتيات اللاتي كنّ تراقبننا منذ لحظة خروجنا من بوابة المحطة، قالت:

— أتدري.. أنك أحن إنسان رأيته في حياتي.

ابتسمتُ قائلا:

— أدري أنك أرق إنسان رأيته في حياتي.

اكتفتُ من تدليك قدميها، فأرحتها على الحذاء ومن ثم نهضتُ وجلستُ بجانبها على الأريكة.

مكثنا دقائق خيم علينا فيها الصمت..

بينما كنتُ أوارى النظر عن تلك الفتيات اللاتي لا زالت أعينهنّ تتطلع إلينا، بينما أتساءل إن كنّ يعتقدنّ أننا حبيبان!

— يكفي هذا، لنتحرك.

قالتها فجثوت مرة أخرى وعاونتها على انتعال حذاءها، كادت تمنعني بيديها ولكنني أصرت على أن أكمل ما بدأت.

ركبنا عربة أجرة بعد أن اتفقنا على الذهاب إلى إحدى المقاهي..
توقفت بنا العربة أمام المقهى.

جلسنا على مقعدين مريحين، مواجهين لبعضهما، وبيننا منضدة صغيرة زجاجية وضعت عليها حقيبتها وهاتفها.

أخذت أتأمل تفاصيلها هنيئة، قبل أن أسألها:

— كيف حال قدمك؟

— إنها أفضل الآن.

أحضر لنا العامل فنجانين من القهوة، قبل أن تحدثني عن الآلام التي تأبى أن تبرح قلبها.. لتذوق طعم الحب من جديد، ورفعت يديها وأرختهما تعبيراً عن الحيرة وهي تقول.

ليس بمقدوري أن أصف لك ما يدور بداخلي، ليت بمقدورك الولوج بداخلي برهة، لتدرك كم المعاناة التي تترسب فوق قلبي.

كانت أخبرتني ذات مرة عن شاب أحبته أربعة أعوام، أحبته بجنون، ولكنه أذاقها من كأس الألم، عندما تفاجئت بخطوبته!

فعدت تقص علي قصتها مع هذا الشاب مرة أخرى، ولكنها زادت تفاصيل أكثر لم تبح بها من قبل، ومن ثم تنهدت وأخبرتني عن صديقها الجديد الذي يحاول التقرب منها دون جدوى، فلا تدري إن كان بمقدورها أن تحب مرة ثانية، فقد باتت تخشى

الحب والمعاناة التي تلازمه ، التقطت هاتفها من فوق المنضدة
وعبثت فيه قليلا قبل أن تمد يدها به نحوي وهي تقول :

— هذا هو .

التقطت الهاتف وتأملت الصورة لبرهة وأعدت الهاتف لها ثم
قلت :

— أدرين ، إنني من المؤمنين بأن هذه الحياة عبثية ، لا تكثر
لسعادتنا ، ولا تدرك حتى معنى الألم الذي يفطر قلوبنا ، ولو
كانت تدرك ، ما كانت لتسمح لقلوب الأبرياء أن تتحطم فوق
صخورها ، لذا أرى أنه ينبغي لنا أن نقتنص السعادة منها
بأنفسنا ، ولا ننتظر أن تقدمها هي لنا ، لأنها لن تفعل أبداً .

تهددت بقوة ، بينما أراقب الحزن يعتلي وجهها ، قبل أن
أضيف قائلاً :

— أرى الألم يتبدى في عينيك ، أعلم كم هو يرضيك ، ويثقلك ،
لكني أرى أيضا في أعماقك طفلة عاشقة للحياة ، تريد أن تحطم
تلك القطبان التي أسكنتها خلفها ، لم لا تسمحين لها الخروج ؟

— إن برحت سجنها .. ستقتل .

— وإن مكثت مكانها .. ستحتضر .

— إذا لا فرق ، لتبقى مكانها أفضل .

— بل يوجد فرق ، في الخارج هناك على الأقل .. أمل .

ابتسمت وقالت :

- كفاكَ فلسفة.. لقد اشتقتُ لكَ.
- أنا أيضاً، لقد أسعدني وجودك.
- صمتتُ قليلاً ثم سألتني مبتسمة:
- وماذا عن قلبك؟
- ابتسمتُ بينما أرفع كفيّ عالياً تعبيراً عن الحيرة وأقول:
- باتُ مُنعم بالخواء!
- وزاغت عيناى على لوحة مُعلقة على الحائط وأنا أضيف:
- لكن لدي أمل أن تُنسخ آلامي مع الوقت.
- تبادلنا بعدئذ حديثاً طويلاً في مواضيع عدة، قبل أن تخبرني بأن عليها العودة، فنهضنا وغادرنا المقهى..
- ودعَّتها وهي تركب العربة عائدة إلى منزلها، وعدتُ أنا الآخر إلى منزلي.
- هكذا كانت صداقتنا.. بريئة!

بعد عدة أشهر سنحت لنا الفرصة أن نتقابل مرة أخرى، تسكعنا في الطرقات، كانت تسير بجانبى تتطلع لوجوه المارة، بينما أنا شارداً أراقب عصفير الجنة التي تمر من جوارى، سألتها:

— هل راقبتِ عصفير الجنة من قبل؟

انتبهتُ لي ثم أخذت ترمق العصافير التي تمر بجوارنا وهي
تسأل..

— لمَ؟

— أنتِ تشبهينها.

سألتني في تعجب:

— كيف؟

— يُمكنها أن تحلق عاليًا وترمقنا صغارًا، ضعفاء، عاجزين عن
تقليدها، ومع ذلك تهبط لتطير على مسافة قريبة من الأرض
وتجتاز أقدام المارة وإطارات السيارات دون أن تتأذى، إنها
تحب المخاطرة، وتُريد أن تثبت لنا أنها قوية، وأن حجمها
الضئيل، لا يمنعها من أن تكون متميزة، وهذا ما تفعلينه أنتِ
دائمًا، لهذا أنتِ تشبهينها، لكن ينقصك شئ واحد.. الحب.

وقفت وقبضتُ على ساعدي تستوقفني معها، فوقفت مواجهًا
لها وأخذتُ أطلع إليها وهي تتأملني بعينيها الصغيرتين، قبل
أن تُؤكد:

— نعم، إنك مُحق!

مكثنا هكذا نتأمل أعين بعضنا في منتصف الطريق! القلوب
الواهنة.. المفعمة بالخواء، لا يمكنها أن تحيي دون حب تتغذى
عليه.

أدركتُ تلك الحقيقة عندما اجتاحتني نظرة عينيها وهي
تتأملني بابتسامة جذلة،

بينما أشعر بخفقان قلبي يزداد شيئاً فشيئاً.
في مساء ذلك اليوم لم يأتني النوم، وشعرتُ وكأن نظرة عينيها،
ولجتُ داخلي، وأخذتُ تجري مع دمائي.
فأبقيتني ساهراً!

وفي أحد الأيام اتصلت بي، وطلبتُ مني أن نذهب لنقضي
وقتنا في مكان جديد، وأنها تريد أن تخبرني بشيء مهم، قبل
أن تقول:

- حسناً، أين نذهب؟
- البحر، أحبُّ البحر.
- حسناً، لنذهب إليه غداً.

في اليوم التالي تقابلنا واستقللنا الحافلة، جلستُ هي بجانب
النافذة، وجلستُ أنا بجوارها، تحدثنا قليلاً، قبل أن يرون عليها
الوسن فتوسدتُ زراعي وغطتُ في نومها العميق، وبقينا هكذا إلى
أن وقفت بنا الحافلة، غادرنا الحافلة ثم استقللنا عربة أجرة
لنصل إلى البحر.

جلسنا متجاورين على واحدة من صخور الشاطئ نتأمل البحر،
ثم قلتُ:

- حسناً، ما هذا الأمر المهم الذي يتطلب الجلوس أمام هزاع
البحر؟

ابتسمت وهي تخبرني في هدوء وبصوت خافت :

— أنا أحبك.

لا أدري لم ارتعد جسدي عندما سمعتُ عبارتها وأصابني
الذهول، وشَعرتُ بحرارة أذني تزداد، وانتابني الارتباك وشيء
من الخوف.. لم أنبس بكلمة، حتى حفزني قائلة :

— أدري سبب صمتك.. رجاء اطمئن لي لن أتسبب أبدا في
أذيتك!.. هل تُحبني؟

— بالطبع أحبك.

غادرتُ الجملة فمي عفويًا، فازداد خجلي، وازداد وجهها
إشراقا، قبل أن تسألني :

— هل علمتَ الآنَ لمَ أتينا إلى البحر؟

فأجابتها مـمازحاً، وأنا أتأهب للهروب بعيداً خشية أن
تضربني :

— لا، كان يمكنكِ أن تقوليها هُناك، لتوفري علينا عناء السفر.

قلتها وبدأتُ في الركض، فنهضتُ من خلفي مُهتاجة.. تُطاردني!

وهكذا انقلبتُ صداقتنا إلى حب، وازداد تعلقِي بعدئذ شيئاً
فشيئاً.

مرتُ بيننا شهور كنا قد اتفقنا فيها على كل شيء: تفاصيل
حفـل الزفاف!

الحياة بعد الزواج، وحتى الطلاق...!

فقد تعاهدنا إن فشل حبنا قبل الزواج، نبقى أصدقاء، وإن
فشل زواجنا، نبقى أصدقاء!

وبعد فترة بدأت العلاقة تضطرب شيئاً فشيئاً، أخبرتها حينئذ
عن طريق الهاتف، إن كانت لا تُحبني وتشعر بعدم الرضا عن
وجودها معي عليها أن تخبرني، ثم أضفتُ:

— في بعض الأحيان أشعر وكأن حبك لي مجرد محاولة للهروب
من شيء ما!

— إنني فقط مُضطربة قليلاً..

— حسناً، دعينا نبتعد لبعض الوقت.

أجهشتُ بالبكاء وهي تقول:

— صدقني أنا أحبك ولا أريدك أن تبتعد، أحتاج منك أن تتحملني
حالي هذه لبعض الوقت.

فبكيكُ لبكائها وأخبرتها بأني لن ابتعد عنها أبداً.

ناكفني ليلتها شعور بالذنب لأنني أسأتُ الظن بها، وقلتُ في
نفسي:

— لقد كنتُ فظاً في كلماتي.

بعد عدة أيام ذهبْتُ إلى أحد المتاجر واشتريتُ لها هدية،
تعبيراً عن حبي واعتذاري، وبينما أنا جالس على الأريكة

الأخيرة بالحافلة..عائد إلى منزلي، ظهرت وهي تدلف من باب الحافلة، فابتسمت وكدت أن أنهض وأستقبلها وأعطيها هديتها، إلا أن شخصاً دلف خلفها وحدثها وأوماً لها أن يجلسا فوق مقعدين انتقاها.. إنه نفس الشخص الذي أرتني صورته على هاتفها، وأخبرتني أنه صديق يحاول التقرب منها! جلست بجانبه، وأخذاً يتبادلان الحديث والضحكات، قبل أن تتوسد ذراعه وتُسكن رأسها فوق كتفه...!!!

إنها تفعل معه ما فعلته معي!

ظلت عيناى الدامعتان، تراقبهما وتتأمل أفعالهما حتى استقرت الحافلة، فنهضا وغادراها بينما اختبأت برأسي خلف ظهر المقعد الذي أمامي حتى لا تنتبه لي.

نزلت بعدئذ من الحافلة وعدتُ إلى منزلي وحقيبة الهدية تتدلى من أصابعي، وفي غرفتي أخرجتُ الهدية ووضعتها أمامي على الأرض وجلستُ بجوارها وظهري مُستند الحائط أتأملها مُتسائلاً، وقد سالتُ دموعي:

لمَ؟

لمَ تفعل معي ذلك، ألم تكن تحبني؟!

لقد أجهشتُ البكاء عندما اقترحتُ عليها أن نبتعد،

هل كان بُكاؤها خدعة؟

هل كانت دموعها زائفة؟

دموع تماثل تلك الدموع التي تذرّفها التماسيح بعد أن تأكل
ضحيتها لتتخلص من أملاحها؟

كنتُ أظن أن لغة الدموع لا تكذب!

كنتُ أظن أن صوت الأنين والنشيج لا يُحاكي!

لمَ الخداع، لمَ الكذب؟

لقد كنتُ صادقاً معها،

لقد أخبرتني يوماً عن آلام استقرتُ بداخلها بسبب حبيبها
الذي فارقتها، هل تعلم هي أن ما تفعله الآن معي، يُماثل ما فعله
هو معها؟

ما الفريق بينهما؟!

كل منهما أسكن خناجر قسوته في قلوب أحبته.

بكيْتُ بحرقّة، ونعتُ نفسي، وأنا لم أنعتُ نفسي من قبل

بالساذج!

ساذج لأنني ظننتُ نفسي قد تعلمتُ من صدماتي شيئاً،
فصدمتني هي الأخرى، فكشفتُ خطأ ظني، وحقيقة قلبي
الواهن، قلبي الذي خذلني، ولا زال يخذلني! قلبي الذي تخلص
من عذاب فراق إحداهنّ، بأن يُلقي بنفسه في جحيم أخرى!

لمَ يا قلبي، لقد كنتُ اكتفيتُ بوحدي، وبخوائي.

لمَ لمَ تبَقَ وحيداً؟

نعم يا رفيقي ، الوحدة مؤلمة.. لكنها غير مميتة! تمنيتُ لو
كان بإمكانني أن أدرك حقيقتها مُنذ البداية، ما كنتُ سمحتُ بأن
تكون هذه النهاية.

كم أتمنى لو كانت حقيقتي، هذه، حلمًا، وهماً، سرابًا،
لأستفيق على حياة جديدة، غير مؤلمة، غير موجهة!

كفكفتُ دموعي، بينما أواصي قلبي قائلاً:

لا عليك، لا عليك يا رفيقي..

فنحنُ نحتاج أحياناً أن نرتطم في قسوتهم، حتى نتفادى أمثالهم
مُستقبلاً!

ينبغي أن ننساها، أدرك أن النسيان لا يتم، إلا إذا أخذ الكثير
من ذاتنا معه، لكن ينبغي! فبعضهم لا يستحق عذابنا، لا يستحق
آلامنا.

لازمني بعدئذ شعور بالخزي والازدراء، ولم أحاول التواصل
معها، وانصرم أسبوع على هذه الحال، حاولتُ فيه جاهداً أن
أنساها.

من المؤسف أن القلوب النقية، تعشق سريعاً، وتمقت ببطء!

اتصلتُ تسأل عن حالي بينما أجيبها في شيء من الحنق
وبكلمات مُفتعلة أنني بخير، فقالتُ:

— أريد أن أخبرك بشيء، لكن أخشى حزنك.

سالتُ دموعي سريعاً وأنا أخبرها بصوتٍ حزين، حاولتُ أن
أجعله طبيعياً:

— لا تقلقي، أخبريني فقط.
— لقد تقدم شخص لخطبتي، ووالدي وافق عليه، ولقد ناسبني
الأمر.

اعتقدتُ بأن الشخص الذي كان بصحبتها، هو من تقدم لها،
فإذا بها تصف لي شخصاً آخر، فضحكتُ ساخراً خلسة، بينما
أقول في نفسي: يبدو أنه هو الآخر كشف حقيقتها.. فابتعد عنها!
— هل أحزنتُ ذلك؟!

— بالتأكيد لا، أنا أتمنى لكِ السعادة، والتوفيق.
— عموماً، لقد أخبرتكِ من قبل، أنه كان كل منا يبحث عن
شخص آخر بداخل الثاني.

— أنتِ لم تقولي لي ذلك!.. قلتِ أنكِ تحبينني و...!
امتنعتُ عن إكمال كلماتي وصمتُ برهة أفكر، قبل أن أضيف..

— لا أريد عتابك على شيء، ما حدث.. حدث.
وأنهيتُ المكالمة بعدئذ في اقتضاب.

لا يمكنني أن أتعايش، وأتأقلم مع هذا الأمر كما تريد هي،
نعم لقد تعاهدنا إن فشل حبنا نُبقي على صداقتنا، ولكن لم
يتضمن عهدنا، الخداع والكذب.

لذا قررتُ أن أرحل بلا عودة!

وبعد أن شعرت برحيلي، أرسلت إليّ عدة رسائل، حاولتُ
أن تلقي باللوم عليّ فيها.. لكنني لم أكرث،

فهي لا تدرك ما اقترفته في حقي!

ولا أكرث إن أدركتُ.

كنتُ أيقنُ وقتنُذ، بأنني لم أعد أحبها.. أو ينبغي ألا أفعل!

النقطة السوداء

لا أدري لمّ يسهل عليهم أن يراقبونا نهوي من فوق أسوار
الآمال التي بنيناها معاً، دون أن يفعلوا شيئاً؟!

يا لها من صخور قاسية حُطم عليها قلبي فتناثرت أجزاءه
حولي كجذوات مُلتهبة.

يا لهه من خزي تملكني، وأنا أجوب في ذكرياتي، وأقلب
صفحاتي معها

وأأمل كلماتها فتتبدى لي حقيقتها! إنني آسف! آسف
لقلبي، على اجتذابه وإجباره على الجثوم أمام من لا يستحق
الجثوم له!

قلبي الذي أغمدت فيه خناجرها، قلبي الذي زجرت به
بعيدا ليرتطم بحائط القسوة.

إنني آسف أيها القلب الطيب، الواهن. آسف لكوني سبب
مُعاناتك؛ فأنا من اخترتُ، وأنا من قررتُ، وأنت من أحببتُ،
وتألمتُ.

إنني آسف يا قلبي على كل برهة، شغفك فيها حب زائف،
لا تحزني يا قلبي، فلو كانوا يدركون نقائك، لخرروا أمامك
راكعين، خاضعين، خاشعين، يقدمون لك القرابين ليتقربوا منك.
لا يا قلبي، لا تُسمعني أنينك، لا تُشعرنني بنشيجك، لا تذرف
دموعك، فالوجود لا يستحق قطرة واحدة منه تطهره، بل أسمح
للمدوع بالولوج إلى داخلك لتطهرك من سراب حبه.

طهري قلبي أيتها المدوع..

طهري وأزيلي حبهما وإن لم تقدرني أن تزيلييه، فاطمسيه
واسجنيه!

اسجنيه في أعماق قلبي،

في سجن بلا أبواب، ليملك فيه إلى الأبد، واحجبي عنه
النور، لتكون هذه النقطة السوداء بداخله، وليكون هذا إثمنا
الوحيد، وخطيئتنا الكبرى.

سيدة الحب

اقتربتُ من شاطئ البحر الذي اكتظ بالآلهة والبشر متسائلاً
عن سبب تجمعهم، قبل أن أنتبه إلى صدفتكِ تدنو وهي تعتلي
موج البحر، وعندما بلغتُ الشاطئ فُتحتُ، وخرجتِ أنتِ منها
عارية كاللؤلؤة، فأحاطك الجميع مطأئين رؤوسهم خشوعاً أمام
جمالكِ، ووقار قسماتكِ، أخذوا يثنون عليكِ في أناشيدهم التي
غناها، بينما تنبعث الألحان من آلات عذراوات الشاطئ..

ابتسمتِ للجميع مُعلنة عن سعادتكِ باستقبالهم لكِ وأنتِ
تولدين، نظرتِ لي وأنا أقف أسفل شجرة التوت ليس بعيداً عنكِ.
فتغلغلت الرهبة بداخلي مما جعل خفقان قلبي يزداد،
وانحنيتُ أمام سحر جمالكِ قبل أن أستقيم مرة أخرى وأرمق
ابتسامتكِ وقد ازدادت إشراقاً..

أحاطتكِ إحداهن بوشاح أحمر لتخبيء مفاتنكِ، فتدثرت به
ومضيتِ تبتعدين، والجميع يتبعكِ.

فالتقطتُ حقيبتتي التي كنتُ قد جمعتُ بها الصدف من
البحر، ومضيتُ عائداً إلى منزلي أصنع العقود لأبيعتها في الصباح،
بينما تُخالجني صورتكِ..

وعندما أويتُ إلى فراشي، وقبل أن أسدل جفنيّ، تمنيتُ لو
أراك مرةً أخرى.

وبينما أنا جالس يوماً أسفل إحدى الأشجار.. أصنع العقود، فإذا
بكِ تدنين مني وبصحبتكِ الملائكة، وبدا علي وجهك أنكِ تتذكريني،
فنهضتُ من مجلسي أستقبلكِ في بهجة، وقفتِ أمامي تسأليني:

— ماذا تصنع؟

— إنني أصنع عقوداً من الصدف.

وانحنيتُ والتقطتُ واحداً كنتُ قد صنعتُه خصيماً لكِ على
أمل أن أعطيه لكِ عندما ألقاكِ مرةً أخرى، ناولتكِ إياه، وأنا
أسألكِ أن تقبلي هديتي،

فالتقطه من يدي وطوقتِ به عنقكِ..

— تروق لي هديتكِ، لذا سأمنحكِ هدية، وسيدة الحبِّ لا تمنح
سوى الحبِّ.

تطلعتِ إليّ برهة، شعرتُ فيها وكأنكِ ولّجتِ بداخلي..

— أنكِ تريد فتاةً مثلكِ، لكنها غير موجودة في زماننا هذا،
ففتاتكِ نادرة!

خيّم علينا الصمتُ برهة، اعتراني الحزن فيها..

— لا تحزن يا فتى، يمكنني معاونتكِ، سأمنحكِ قنينةً من شراب
الآلهة، كلما ارتشفتِ قطرةً منها، عدتِ لشبابكِ مرةً أخرى،

استخدمه ، ففي يوم ما ستأتي فتاة من نسل (باندورا).. فتاة نادرة، ستكون حبك الوحيد.

أعطتني الفئينة وغادرت.

ومضت آلاف الأعوام عليّ، ولم تظهر فتاتي خلالها، وكلما شاخ جسدي ارتشفتُ قطرة لأعود إلى شبابي، وعندما ناكفني اليأس والقنوط، ذهبتُ إلى معبدك وجثوتُ أمام تمثالك.. أسألك العون.

— لقد ارتشفتُ آخر قطرة بقنينتك، وأخشى أن أشيخ هذه المرة دون أن أجد حُبي.. عاونيني يا (فينوس).

وعدتُ بعدئذ إلى مسكني، وأويتُ إلى فراشي، وأنا أتمنى ألا تكوني قد تجاهلتِ أمنيّتي..

وأمس حلمتُ بك.. وقد أتيتِ ومعك فتاة تشبهك، ودنوتِ مني ووضعتِ يدها الصغيرة في راحة يدي..!

استفقتُ من حلمي، أتساءل إن كانت هذه علامة منك، وأنك استجبتِ لي، وأن أمنيّتي باتت وشيكة..

لكن لازلتُ أنتظر.. أنتظر فتاتي النادرة!

فهل ستأتي؟

في عتق الله

ارتقى إلى ذروة أحد الجبال، وجثا على ركبتيه، يشكو همّه
إلى الله!

ربي إنهم يقولون أنني أجحدك، وأنت وحدك تعلم، كم أوْمَن بك
يقولون أنني أمقتك.

وأنت وحدك تعلم مقدار حبي وعشقي لك.

يقولون إنني أهرب منك، وكيف أهرب، وأنت مني وأنا منك،
ربي إنني أستنشق عطرَكَ عندما يرتطم وجهي بنسيمك صباح كل
يوم، أستشعر دفاكَ عندما تلفحني حرارة هوائك، أستشعر حنينك
عندما أتكور في زاوية غرفتي أفتقف من شدة البرد، وأخبرك
بمعاناتي، فأصغي لصوتك يواسيني ويرفع همي.

أبت..

كيف لا أوْمَن بك، وأنت ممتزج بي، وبقلبي، وبوعي،
وبحروفي ووجودي!

فأنت نبضي ، ونبض الوجود.

وأنت الوجود ، وإنك وحدك الوجود!

وأنت الوعي ، ومنك الوعي ، وإليك الوعي ،

وأنت الحب ، ومنك الحب ، وإليك الحب.

يا من عشقتك.. بك!

إنهم يستنكرون تدمري عندما أرفض ادعاءهم بأنك بعيد عنا!
وكيف تكون بعيداً ، وقلوبنا تنبض بك؟ ودمائنا ممتزجة بك ، أنت
سلامنا ، وحروبنا ، وأنت وجودنا ، وعدمنا.

إنك قريب ، أقرب من أنفاسنا الزائفة ، وأقرب من صور عيوننا
الخادعة!

إنك تحتوينا ، وتحتوي كل شيء ، وأنت كل شيء ، فأنت لا
مثلك شيء!

إن أبصارهم تخرج خارجهم لتجوب هائمة بحثاً عنك ،
ولا تحاول قط أن تلج إلى داخلهم ، لتجدك ساكناً أعماق قلوبهم.

لكنهم لا يدركون ، ولا يصدقون..

وما أدراهم فهم بشر لا يشعرون!

إنهم يقتلون إخوتهم تقرباً إليك

وأنا أعلم أن من زعم أنه يَقْتُلُ تقرباً إليك.. كفر بك. إنهم يا
أبتِ، ملطخون بدماء الأبرياء! إنهم دنسوا الأرض الطاهرة بأفعالهم
القدرة! إنهم يستغلون اسمك، ولو طالوا ذاتك لاستغلوها!
إنهم ساذجون.. يصلبون، ويبترون أطراف مُعلمهم ثم يسألونك
الفردوس!

ووحدهم الساذجون من يسألونك الفردوس وفي قلوبهم مُقتُ،
وشرٌ لإخوتهم؛ فالفردوس ليست مكاناً يُسكن، بل طمأنينة لا
ينالها سوى الأنقياء!

لا ألومك أبتِ أنك جعلتني من جنس المفسدين في الأرض!
رضيتُ بنصيبي..
وأحبهم لأجلك!

إنني أثم يا أبتِ عندما أصفك بكلماتهم وحروفهم،
وأنت لا تصفك الكلمات ولا الحروف!
وإنهم سينزعجون ويسخطون عليّ،
إن خاطبتك ب أنتِ بدلاً من أنتِ..
فحروفهم تصنع لك الحدود، وتكبلك بالقيود،
وأنت من لا حدود له، ولا قيود عليه.

إنني أنزهك أبتِ عن كل كلمة.. وصفوك، ووصموك وعتوك
بها!

إنني أنزهك حتى عن كلماتي تلك!

يا من بزغتُ منك،

وعشتُ بك،

وإليك أعود!

أتيتُ إليك لأنك وحدك من تعلم ما في نفسي، ومبتغي..

أتيتُ، أسألك الغفران، وأخبرك بعشقي، إنني عاشق للطبيعة،
عاشق للحب، عاشق للحياة، عاشق للموت، إنني عاشق لك يا
إلهي، بكل ما تحتويه، وأنت وحدك من تحتويني.

غفرانك ربي.. غفرانك.

الغز الغامض

كم أنت غريب أيها الحبُّ!

كم أنت لغز غامض.. مبهم، لا ينوي أن يفشي لنا سره.. لكي
نعقله!

تُضيء لنا سرابك ليبدو وكأنه حقيقة ماثلة أمامنا. وعندما
ندنو منه، يتلاشى شيئاً فشيئاً،

ولا يلبث حتى يُضاء في مكان أبعد.

فنقف واجمين، غير مصدقين لبرهة.

ثم نمضي نحاول مرة أخرى.

وعندما ندنو.. يبتعد!

وندنو.. فيبتعد!

وندنو.. فيبتعد!

ونظل نحاول حتى نهوي على ركبتينا مرهقين، موجعين،
متعبين.. نلهث.

وحينئذ نتأكد أنه كان مجرد سراب.. خدعت أبصارنا به.

تُفطر قلوبنا حزناً.

وتُربد وجوهنا نقماً.

تُعذبنا، وتُضنينا، وتلقي بنا في جحيم شوقك.

كم أمقتك أيها الحبُّ،

لأنك كالبحر الجارف..

تخطفنا لتلقي بنا على شاطئ الأمل برهة!

قبل أن تجتذبنا غير مكرث بتشبثنا،

فنغرق في هزئك، ودوامات عبثك..

لتلقي بنا على شاطئ غيره..

قبل أن تجتذبنا مرة أخرى.

وهكذا نبقى دائماً بين أحضانك!

ساكنين خلف قضبانك!

نحيى على أملك،

وأفواهنا مُفعمة بسمك،

حتى تطوينا في قبرك.

مهلاً!

قالتُ لي إحداهنَّ يومَ: لِمَ دائماً قصتُكِ حزينتُ ، تعبستُ ،
مؤلمتُ ، تَنسَخِ ابتسامتُنَا؟

قلتُ لها: وهل تظنين أني لو كُنتِ غير ذلك ، كُنتِ ستترك
فيكِ أثرًا؟!!

الفهرس

٥	تمهيد
٩	الزهرة الأولى
١٩	كيف أواسيك؟
٢٢	لا زالت تجتاح أحلامي
٢٥	طفل الشارع
٢٩	أنثى ساذجة
٣٥	بائعة الليمون
٤٠	قبلة مُفتعلة
٤٣	جسد لا يعرف الحب
٤٦	العنكبوت
٤٩	الرفيق
٥٥	الأزرق كله عشق
٦٧	محاولة أخيرة
٧٠	وجيف قلبي

٧٢.....	رسالة من زوجة مخلصه.....
٧٧.....	رياح سمجة.....
٨٣.....	احتواء.....
٨٦.....	حنينك الزائف.....
٩٠.....	أوهام.....
١٠٢.....	أسفل أنغام المطر.....
١٢٠.....	كبرياء الحب.....
١٢٥.....	دموع التماسيح!.....
١٣٩.....	النقطة السوداء.....
١٤١.....	سيدة الحب.....
١٤٤.....	في عشق الله.....
١٤٨.....	اللغز الغامض.....